365

HARLEQUIN

روايات أحلام

قيود من نار

أيما دارسي

www.elromancia.com

مرمورية

قيود من نار

عندما ورث المليونير جوني إليس حصة في المزرعة الأسترالية غواندامورا لم يكن يحتاج إلى المال.
لكن ذكرياته الجميلة عن ذلك المكان دفعته للعودة إليه ومحاولة إنعاش الأعمال التي كانت تتراجع فيه. غير أنه لم يكن يتوقع العدائية التي ستواجهه بها شريكته الجديدة ميغان مغواير ...

فميغان التي حاولت لسنوات طويلة أن تنسى انجذابها المؤلم إلى جوني، تخشى اليوم منه أكثر. فهي ترغب في أن تحتفظ بغواندامورا لنفسها فقط وتريد أن يرحل جوني إلى الأبد... فكيف ستكون ردة فعلها حين يطلعها جوني على السبيل لتحقيق تلك الأمنية، أن تتزوج به؟

لبنان،	2500ل.ل	البحرين،	1دينار
سوريا،	75ل.س.	السعودية،	10ريال
الأردن،	1.5دينار	مصر،	8جنيه
الكويت،	750فلس	المغرب،	15درهم
الإمارات،	10دراهم	تونس،	2دينار
قطر،	10ريال	عمان،	1ريال

ISBN 9953-15-319-1

أيمّا دارسي

كانت أيمّا دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأمّاً. ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه... بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز». ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية، وبحسب ما اعترفت: «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي».

www.elromancia.com

اليوم الأول في غوندامورا

كانت الطائرة تتوجه منحدرة نحو مهبط مغطى بالرمال الحمراء، لا تلمح العين حوله، على مدى البصر، إلا أرضاً قاحلة، تكثر فيها الأشجار القصيرة، فضلاً عن مجموعة من الأبنية، تعود لمزرعة تربية الخراف.

ها هو جوني يجد نفسه مرغماً على مواجهة هذا المناخ القاسي لفترة محددة من الزمن... ولا شيء في هذا المكان ينبض بالحياة!.

قال ريك دوناتو متمتماً: «ليتني أحضرت معي آلة التصوير».

أثارت ملاحظته تلك فضول جوني، إذ بدا جلياً أن التأثير البصري المريع لهذا المكان، لم يثر هلع ريك الذي اعتاد منذ نعومة أظافره على حياة المدينة.

كان غريباً أن يجيد لص مشرّد مثله فن التصوير. ولكن لعله أتى على ذكر آلة التصوير في محاولة منه لإظهار رباطة جأشه وإخفاء خوفه من المجهول الذي ينتظرهم!.

كان شكل ريك الخارجي يحاكي شكل ذرية عائلات المافيا الإيطالية، بشعره الأسود الجعد وبشرته الزيتونية اللون، وعينيه الداكنتين اللتين تومضان بحدة خطيرة.. ولكن لو كان ريك دوناتو يتحدر فعلاً من عائلة مماثلة، لما توانى أحد المحامين الحاذقين عن إظهار براءته من تهمة سرقة السيارات، فيعفيه بالتالي من مشقة السفر على متن هذه الطائرة، برفقة جوني وميتش.

- إنها بقعة نائية!.

تمتم ميتش تايلر بلهجة مفعمة بالكآبة، وعيناه مسلطتان على المشهد عبر

- أظن أنني أسأت الاختيار.

بدا واضحاً أن ميتش وقع فريسة القنوط.. فخلافاً لـجوني وريك، كان لـ ميتش عائلة مؤلفة من والدته وشقيقته، اللتين لن تتمكنا، حتماً، من زيارته في هذا المكان البعيد..

ولكن اختيار السجن ستة بكاملها في مركز للأحداث بدلاً من العمل ستة أشهر في مزرعة للماشية..

- كلا!.

تشدق جوني قائلاً: «لا يمكنني أن أتحمل الحبس.. يمكننا على الأقل، أن نتنفس هنا».

- ما الذي ستتنفسه؟ الغبار؟.

قال ميتش ذلك ساخراً، فيما كانت الطائرة تحط أرضاً، مثيرة خلفها سحابة من الغبار.

لم يكن جوني يتزعج من الغبار، ويجده أفضل بكثير من السجن في زنزانة ضيقة... وتمنى في قرارة نفسه ألا يميل ميتش تايلر إلى المشاكسة، خلال الأشهر الستة المقبلة، أو ينفجر غضباً كلما تضايق من شيء ما.

كان الشاب محكوماً عليه بالسجن بتهمة الاعتداء.. صحيح أنه ضرب الرجل الذي اغتصب أخته، إلا أن جوني أحس بأن العراك يستهويه.

كان ميتش يتميز بعينيه الزرقاوين الثاقبتين، وشعره الداكن، وقسمات وجهه القاسية التي توجب الاحترام.. أما بنيته فنحيلة وذراعاه قويتا العضلات، أوحتا لـ جوني بقدرته على استخدام العنف.

لا شك أن العيش على مسافة قريبة منه، سيكون مزعجاً للغاية، إن لم يخفف من حد توتره قليلاً.

- أهلاً بكم في مجاهل أوستراليا.

قال الشرطي المرافق لهم ذلك بنبرة ساخرة:

- واحرصوا على ألا تحاولوا الفرار، إن كنتم ترغبون بالبقاء على قيد الحياة.

تجاهل الفتية الثلاثة تعليقه.. كانوا جميعاً في السادسة عشر من عمرهم، ولم يفقدوا بعد ذرة من حبهم الشديد للحياة، مهما خبأت لهم من مفاجآت، حلوة ومحزنة.

علاوة على ذلك، من الغباء جداً أن يحاولوا الفرار، قبل أن يمضوا الستة أشهر، ليتمكنوا بعدها من المضي في حياتهم، وقد رضخوا للعقوبة التي فرضها عليه القانون.

لم يكن ضمير جوني يؤنبه على ما فعله، لأنه ليس تاجر مخدرات بكل معنى الكلمة.. جلّ ما أراده هو أنه يسدي خدمة لأعضاء الفرقة، فاشترى لهم الماريجوانا سراً، ليدخنوها، بعيد الانتهاء من حفلتهم الموسيقية... ولما دفعوا له ثمنها، قبض عليه رجال الشرطة، وهو يسلم المال للتاجر الحقيقي.

لم يحاول جوني الدفاع عن نفسه أو الاعتراف بأن المال ليس ماله، خشية أن يشاع في عالم موسيقى البوب، بأنه وشى بهم، فيفقدون الثقة به.. لذا، فضل أن يلزم الصمت ويتحمل العواقب كافة..

سيقدرون له حتماً هذه الخدمة العظيمة، فيستدعونه بعد انتهاء مدة عقوبته في مزرعة المواشي، ليعزف الغيتار مع أحد الفرق، حتى وإن حل محل أحدهم بشكل مؤقت.

تعلم جوني منذ صغره أن إرضاء الناس هو السبيل الأسهل للعيش بسلام.. وعلى الرغم من مرور سنوات، لم تفارقه بعد تلك الكوابيس المزعجة، التي يرى فيها نفسه مسجوناً في خزانة مظلمة، وقد أثار غضب والديه بالتبني.

ومع انتقاله للعيش في كنف عائلة جديدة، بدأ يتعلم كيفية التصرف..

فوضع نصب عينيه خطة اتبعها في مختلف مراحل حياته: اكسب مودة الناس وتفاد المشاكل...

تمنى في سره أن يكون مالك هذا المكان إنساناً عاقلاً، وليس مجرد سافل يستغل النظام العدلي ليحظى بيد عاملة مجانية، شأنه شأن تلك العائلات التي تتقاضى مالاً من الحكومة، لتتبنى أطفالاً، يجدون أنفسهم في نهاية المطاف مرغمين على الاعتناء بأنفسهم، وكسب رزقهم في تلك المنازل التي من المفترض أن تكون ملاذاً لهم.

تحدث القاضي مطولاً خلال المحكمة، عن هذا البرنامج الذي يهدف إلى إرشاد الصبية الضالين إلى الطريق الصحيح وتعليمهم بعض أمور الحياة الأساسية.. وكأن الحياة لم تقسُ عليهم، أو لم تلقنهم دروساً لا تنسى!.

كان جوني واثقاً من أنه سيتمكن من التغلب على هذه المحنة بسهولة، وما عليه سوى أن يرسم ابتسامة عريضة على وجهه ويبدي استعداده للتعاون مع الجميع.

تقدمت الطائرة شيئاً فشيئاً، إلى حيث وقف رجل ضخم الجثة قرب سيارة لاند روفر رباعية الدفع، ينتظر وصولهم.

كان عريض المنكبين والصدر، رمادي الشعر وقسمات وجهه منحوتة.

بدا واضحاً أنه تجاوز الخمسين من عمره ولكنه لم يفقد ذرة من وسامته أو قوته..

أقر جوني في نفسه بأنه ليس من النوع الذي ينبغي معاندته، على الرغم من أن القوة البدنية لا تثير فيه الخوف.. فقد كانت بنيته ضخمة، وتفوق بنية الصبية الآخرين ضخامة، مما جعلهم يفكرون ملياً قبل أن يفتعلوا عراكاً معه.. عراك اعتاد جوني أن يتفاداه، آثراً عليه المودة وحسن التصرف.

- يبدو أن جون واين عاد إلى الحياة.

قال ميتش تايلر ذلك هازئاً، وهو يرمق الرجل الواقف يتظرهم باستخفاف، فيما كان جسمه يئن من حدة التوتر.

- لا أرى حصانه.

رماه جوني بابتسامة عريضة، علّه يهدأ من روعه، فتسهل الأمور عليهم جميعاً. فرد ميتش عليه بابتسامة ملتوية، أحيت الأمل في قلب جوني، في أن يتمكن ميتش من الاسترخاء، مع مرور الوقت، لا سيما إن حظوا بمعاملة جيدة في هذا المكان.

وتنبه، في تلك اللحظة، لريك دوناتو الذي كان يحدّق به بفضول، وتساءل عما يدور في رأسه.. أتراه يجده غير مؤذٍ ولا يشكل خطراً عليه؟ أم تراه وجد فيه إنساناً لطيف المعشر؟ ما الذي يراه فيه يا ترى؟

حاول جوني أن يتصور نفسه بشكل موضوعي... فهو شاب قوي البنية، يليق به أن يلعب في الصفوف الأمامية، في فريق لكرة القدم، شعره بني متموج، يتدلى فوق جبينه، وعيناه اللتان يمتزج فيهما الأخضر بالبني، تومضان بوميض يدل على مزاج حسن، واظب جوني على صقله... أما فمه، فيعج بأسنان ناصعة البياض، تجعل ابتسامته معدية...

وعلى الرغم من ذلك كله، وجد جوني نفسه عاجزاً عن منافسة ريك دياناتو لجهة وسامته.. فتهافت الفتيات الشديد عليه، أثار له متاعب جمة.. إذ لم يتوانَ عن سرقه سيارة بورش ليتباهى بها أمام فتاة فاحشة الثراء.

لم يكن جوني يجد متسعاً من الوقت للعبث مع الفتيات.. فهمه الوحيد كان عزف الموسيقى، والسفر من مكان إلى آخر...

توقفت الطائرة. فطلب الشرطي منهم أن يخرجوا حقائبهم من تحت المقاعد الخلفية... ولم تكد تمضي دقائق قليلة، حتى قادهم خارج الطائرة، ليرميهم على شواطىء حياة غريبة عنهم.. حياة بعيدة، بعيدة عن حياتهم السابقة..

كان التعارف الأولي منذراً بالسوء، إذ ضرب على أوتار جوني الحساسة:

- اليك الصبية يا ماغواير... أحضرتهم لك مباشرة من الشوارع لتروضهم.

رمى العجوز الضخم الجثة الشرطي بنظرة فولاذية:

- لم نعتد في هذا المكان على معاملة الناس بهذه الطريقة!.

جاءت نبرة صوته رقيقة، وحملت كلماته بين ثناياها قوة حازمة ذلّلت كل محاولة للجوء إلى وسائل التعسُّف. أومأ الرجل للفتيان الثلاثة برأسه محياً وقال:

- أدعى باتريك ماغواير وأهلاً بكم في غاندامورا... في لغة السكان الأصليين، تعني هذه الكلمة «طاب يومكم».. أرجو أن تعتبروا اليوم الذي وطأت فيه قدمكم أرض هذا المكان يوماً طيباً..

تبددت مخاوف جوني كلها... فحديث باتريك ماغواير المقتضب كان بالغ الحفاوة، وخالياً من التهديد بالمعاملة القاسية.

وعلى الرغم من ذلك، وقف جوني يراقب الرجل الضخم الجثة، بحذر، وهو يدنو من ميتش الواقف في أول الصف..

- هل أنت...

بدت يده الممدودة له أشبه بساحقة للعظام:

- ميتش تايلر.

كانت نبرة ميتش توحي باستعداده لإشعال فتيل الحرب، فيما مد يده ليصافح الرجل بتحدٍ:

- سررت بالتعرف عليك يا ميتش.

وصافحه بطريقة طبيعية خلت من النزعة إلى الهيمنة.

ابتسم جوني له ابتسامة فتىً يسعى إلى نزع السلاح، فأثارت في نفسه الارتياح إذ مد يده مرحباً:

- جوني ايليس.. سررت بالتعرف عليك، سيد ماغواير.

تحولت نظرانه الفولاذية إلى نظرات متفرِّسة، جعلت جوني يشعر بأنه يقيِّمه بطريقة لم يعهدها من قبل..

انقبضت عضلات معدته من شدة التوتر، فيما أحس بحرارة قبضته تتسلل تحت جلده، باحثة عن كل ما خفي عنه. فأصيب جوني بالارتباك... ارتباك لم يعانِ منه من قبل...

وبعد أن قرر باتريك ماغواير إفلات يده، تقدم نحو ريك دوناتو، الذي عرّف عن نفسه بنبرة باردة، لم تفضح أمره البتة.

سأله العجوز: «هل أنت مستعد للانطلاق؟».

أجابه بعدائية:

- أجل.. إنني مستعد للانطلاق.

لا شك أن ريك لن يتوانى عن الانقضاض على العالم برمته إن دعت الحاجة، وتساءل جوني في سره عمَّا إذا كان باتريك ماغواير يبحث عن شخص مثله...

أتراه فشل هو أيضاً في إظهار جانبه اللين؟ قلما يهمه الأمر!.

جلُّ ما عليه أن يفعله هو أن يحاول تجنب إثارة المتاعب خلال الستة أشهر المقبلة... لعله ليس مقاتلاً مثل ريك وميتش.. ولكنه يعرف جيداً السبيل للبقاء ولا يحبذ مطلقاً المواجهات المباشرة.

وإذ وقف ماغواير يتأمل الفتيان الثلاثة، محاولاً أن يكوِّن فكرة عن عماله الجدد الذين سيعاونونه في هذا المكان المقفر، استرخت عضلات معدة جوني، وقد بدأ يشعر بذبذبات إيجابية تنبعث من الرجل..

يبدو أنه اجتاز الاختبار، مهما كان نوعه، بنجاح...

من المؤكد أن إقامته في غاندامورا لن تكون سيئة...

www.elromancia.com

عليه أن يرجىء خططه كلها ستة أشهر، تاركاً لنفسه، خلالها حرية الاستمتاع بالعيش في هذه الأرض الشاسعة الخالية.

نعم.. إنه مستعد كل الاستعداد للمضي في هذه المغامرة، خلافاً لـ ريك وميتش...

تمنى جوني ايليس في سره أن تتوطد عرى الصداقة بينهم، خلال فترة وجودهم في هذه البقعة النائية.. غير أنه لم يتخيل أبداً أن تدوم الصداقة، التي تنشأ بينهم، العمر كله، فيتبادلون أسرارهم الصغيرة ويتكاتفون في أوقات الشدة.

إنه ميثاق غونداموراً الذي بدأ يتبلور، وعلى رأسه باتريك ماغواير، الذي سيلعب دور الأب الحنون... أب يحسن الإصغاء إلى أولاده، ويدرك مكامن القوة في كل واحد بينهم، فيرشدهم إلى السبيل الصحيح للنجاح، محذراً إياهم من التحليق عالياً، ومرحباً دوماً بهم في ديارهم.

١ - الوصية

بعد مرور اثنتي عشر سنة...

امتطى جوني ايليس حصانه، ودخل بلدة الغرب القديمة، التي بنيت خصيصاً من أجل تصوير الفيلم السينمائي... كانت صحراء اريزونا خلفه، وفريق العمل المنهمك في التصوير أمامه... وجلّ ما عليه أن يفعله هو أن يتسلح بالجدية ليؤدي الدور المسند إليه، دور راعي بقر في مهمة خاصة.

اختلج طرفا فمه بابتسامة خفية... صحيح أنه حقق نجاحاً لا نظير له، في عالم الموسيقى الشعبية والغربية، وعرفت اسطواناته رواجاً شعبياً كبيراً، فبيعت بأعداد هائلة، إلا أنها المرة الأولى التي سيشارك فيها في بطولة فيلم سينمائي..

كان سروره لا يوصف وهو يرى نفسه يقدم على خطوة فاقت أحلامه الأكثر جنوناً.

كان جوني قد تعلم ركوب الخيل في غونداموراً، فبدا مرتاحاً جداً على ظهر حصانه، ويحسن التعامل معه.. من ناحية أخرى، لعب طوله الفارع وبنيته الضخمة دوراً مهماً في حصوله على هذا الدور، زد على ذلك، اسمه اللامع في عالم الفن، والذي وظفه مدير أعماله إلى أقصى حد..

كان ريك وميتش قد عبرا عن رأيهما في هذا الموضوع بالانفجار ضحكاً... غير أن الوقت لم يكن مناسباً الآن للضحك، وآلات التصوير مسلّطة على جوني، والمصورون يلتقطون له صوراً عن كثب... فقد حان

www.elromancia.com

الوقت ليترجل عن حصانه ويربط اللجام بالسياج، ويدخل بعدها إلى الحانة.

إنه المشهد الأخير الذي سيصورونه اليوم، ولم يشأ جوني أن يفسده..

أدى جوني دوره على أكمل وجه.. ولم يكد باب الحانة يصفق خلفه حتى صرخ المخرج: «أوقفوا التصوير».

ابتسم جوني ابتسامة عريضة وهو يخرج إلى الشارع وكله ثقة أن المخرج لن يطلب منه أن يعيد تصوير المشهد ثانية...

ازدادت ابتسامته اتساعاً حين لمح ريك دوناتو واقفاً قرب فريق المصورين...

يبدو أن صديقه القديم وجد متسعاً من الوقت ليزوره في موقع التصوير.. فقد دعا جوني صديقه ريك للحضور، حين اتصل به ليبلغه بقدومه إلى لوس أنجلوس، بغية الإطلاع على أعمال فرع شركة التصوير العالمية التي يملكها...

من المؤسف أن لارا والطفلين لم يتمكنوا من الحضور معه.. فزوجته امرأة ساحرة، وطفلاهما خفيفا الظل، ويثيران مشاعر جوني.

- تسرني رؤيتك يا ريك.

رحّب بصديقه القديم والسرور يملأ قلبه:

- أتريدني أن أصطحبك في جولة في المكان؟.

- كلا.

تفاجأ جوني لدى سماعه رده السريع المقتضب.. ولكنه سرعان ما لاحظ أن ريك لا يبدو بخير.. فإمارات الاستياء بادية على وجهه وكأن شيئاً ما يقلقه.

- هلا ذهبنا إلى مقطورتك يا جوني لنتحدث على انفراد؟.

- طبعاً!.

وأشار بيده يدله على الطريق، ثم سارا معاً، جنباً إلى جنب من دون أن

يتلامسا.. فقد اعتاد جوني أن يلف ذراعه حول كتفي ريك ويعانقه سعيداً برفقته.. إلا أنه آثر ألاّ يفعل ذلك اليوم، وقد رأى صديقه متشنجاً ومنغلقاً على نفسه..

أحسّ جوني بتقلص في معدته.. فكلما أنبأه حدسه بحدوث شيء خطير، أحس بتقلص في معدته..

لم يستطع الانتظار إلى حين وصولهما إلى المقطورة. فسأله والقلق بادٍ عليه:

- ما الأمر يا ريك؟ قل لي.

أخذ ريك نفساً عميقاً طال كبته. وأجابه بصوت منخفض:

- تلقيت اتصالاً من ميتش... اتصلت به ميغان.

- ميغان ماغواير؟.

واستعاد جوني في ذهنه صورة ابنة باتريك ماغواير الصغرى، بشعرها الأحمر الكث، ووجهها المغطى بالنمش، وعينيها الرماديتين، بلون الغيوم المنذرة بالعاصفة... عينان تنبعث منها شرر الاستقلالية الجامحة، وتحمل كل نظرة فيهما رفضاً جلياً لعمله في المزرعة، وكأنها تتحداه صراحة، بأن يقول إنها لا تصلح لإدارة المزرعة، كما اعتاد والدها أن يديرها..

والحق يقال إن ذلك لا يبعد عن الواقع.. فقد عملت ميغان طوال حياتها لبلوغ هذا الهدف، رافضة أن تولي أمور الحياة الأخرى، أي اهتمام يذكر...

لم يحاول جوني انتقاد خيارها قط.. ولطالما أبدى إعجابه بقدرتها على الاهتمام بأعمال المزرعة.. ولكنه لم يفهم أبداً لما كانت ترفض أن ترافقه في نزهة على الخيل، كلما زار المزرعة، أو أن ترحب به بحفاوة مثل والدها... إذ كانت تبذل قصارى جهدها لتتحاشاه، وحين يتعذر عليها ذلك، تعجز عن منع نفسها من التعبير عن ازدرائها بالمهنة التي اختارها له، مع إنها كانت تحب في صغرها الاستماع إليه وهو يعزف على الغيتار، وتحفظ أغانيه كلها عن ظهر

www.elromancia.com

قلب..

- باتريك!.

أحسّ باضطراب في داخله: «حصل له مكروه!».

أخذ ريك نفساً عميقاً من جديد: «لقد مات يا جوني!».

سحقت الصدمة فؤاده... وتوقفت رجلاه عن الحراك، فيما راح يهز رأسه، رافضاً أن يصدق ما سمعته أذناه.. وأحسّ بالرفض يسد حنجرته يكاد يخنقه..

- لا.. لا..

- منذ ليلتين..

قال ريك ذلك بنبرة حولت شكه إلى يقين، وأثبتت الحقيقة الصعبة الاحتمال:

- مات في سريره... توقف قلبه عن الخفقان.. لم يعلم أحد بالأمر حتى صباح اليوم التالي.. كانت ميغان أول من رآه.. ما باليد حيلة يا جوني.. لقد مات!.

مات تاركاً خلفه ثغرة سوداء ضخمة... بئر لا قرار له، راح جوني يتخبط فيه، فلم يدرك أن ريك أمسك بمرفقه ليقوده إلى المقطورة.. كانت رجلاه تتحركان بصورة آلية، وعيناه الضبابيتان لا تريان شيئاً مما يدور حوله..

مضى وقت طويل قبل أن يعي جوني أنه كان يجلس على الكنبة، في المقطورة التي زودته بها شركة الأفلام.

- إنها صدمة كبيرة لنا جميعاً يا جوني.

أومأ برأسه عاجزاً عن الكلام.

- حجزت بطاقتي سفر إلى أوستراليا.. عليك أن تسوي أمورك مع فريق العمل، لأن سفرك قد يسبب تأخيراً في المواعيد، لا سيما إن لم يكن بوسعهم

متابعة التصوير خلال فترة غيابك.

الفيلم... لم يعد له أهمية الآن...

كان الحزن على خسارة باتريك يضنيه.. ريك تزوج من لارا وأنجب منها طفلين.. وميتش تزوج من كاترين، وهما الآن ينتظران مولوداً... أما جوني، فبقيت غوندامورا عائلته الوحيدة.. ومع رحيل باتريك، أحسّ وكأن جذور حياته تنتزع منه...

لم يعد لديه سبب للعودة إلى هناك، فضلاً عن أن ميغان لن ترغب برؤيته ثانية.. ولكن عليه أن يعود للمرة الأخيرة ويودع الرجل الذي لطالما عامله كابن له... أب لا تربطه به صلة دم..

لن تضن ميغان عليه بذلك... وسيرافقه حتماً ريك وميتش، ليسترجعوا معاً كل ما فعله من أجلهم باتريك.. صاحب القلب الكبير..

لِمَ توقف قلبه عن الخفقان؟.

رفع عينيه إلى ريك وقد حثّه الكرب المتأجج في أعماقه على الكلام:

- كان في السبعين من العمر.

أسرع ريك يؤيده قائلاً: «كان في الرابعة والسبعين!».

- وبنيته قوية.. كان عليه أن يعيش مئة سنة على الأقل.

- هذا ما كنا نخاله يا جوني.

- كنا معاً منذ ثلاثة أشهر، خلال عطلة عيد الميلاد.. وبدا يومها في أفضل حال.

هزّ ريك برأسه: «لم نلمح أي إشارات تحذيرية! لعل الجفاف سبب له الإرهاق، خاصة أنه اضطر لقتل عدد كبير من الخراف!».

- عرضت عليه المساعدة، وأبديت استعدادي لتقديم كل ما يلزم لإنقاذه من هذه الورطة.. تعلم جيداً يا ريك أنني أملك مالاً لا تحرقه النيران.

ابتسم ريك ابتسامة ساخرة: «عرضت عليه الشيء عينه وأظن أن ميتش حذا حذونا!».

- مد لنا يد العون في الماضي.. فلِمَ أبى أن نساعده اليوم؟.

- أراهن أن ميغان أبت أن تقبل عرضنا.. يا لكبريائها اللعينة!.. أظن أن باتريك لم يشأ أن يثير استياءها...

- لا تضع اللوم على ميغان يا جوني.. فهمومها تكفيها، ولا داعي لأن تزيد الطين بلة، وتشعرها بالذنب حيال موت والدها.. لو كنت مكانك لعاملتها برقة بالغة.. فهذا ما يتوقعه باتريك منك..

- نعم.. أعلم ذلك.. أعلم ذلك.

وأرخى قبضته وفتح يديه وهو يومىء إيماءة تدل على اليأس:

- سأشتاق إليه!.

هز ريك برأسه، وأشاح بنظره بعيداً، إلا أن جوني رأى الدموع المترقرقة في عينيه الداكتين... فالحزن على موت باتريك لم يعتصر فؤاده وحده.. إذ كان ريك يتألم وميتش...

لا شك أن ميتش توجه إلى غوندامورا ليقدم الدعم اللازم وينجز الإجراءات القانونية؛ فهو محامٍ بارع وعليه أن يقف إلى جانب بنات باتريك الثلاث، إميلي وجيسي وميغان...

كان ريك على حق.. فباتريك يتوقع حتماً أن يحسن أولاده معاملة بناته..

قال ريك بفظاظة: «لا نعرف بعد سبب موته الفجائي.. لعل ساعته حانت فحسب.. علينا أن نلحق بالطائرة يا جوني.. هل أنت جاهز لإنجاز ما عليك إنجازه.. قبل أن نغادر؟».

- إنني جاهز للسفر.

ثم نهض من مكانه وأضاف:

- دعني أولاً أقوم ببعض الاتصالات الهاتفية.

بعد أن نقلتهما طائرة هيليكوبتر إلى فينكس، استقلا الرحلة المتوجهة إلى لوس أنجلوس.. ومرت ساعات طويلة طويلة قبل أن يصعدا إلى الطائرة النفاثة، التي ستقلهما إلى سيدني، ويستقرا في مقعديهما، استعداداً لمواجهة أطول مرحلة من رحلتهما، فوق المحيط الهادي:

كان جوني مشغول البال، يتردد في ذهنه سؤال يحيره: «لِمَ لم يتصل ميتش بي مباشرة ليوفر عليك مشقة المجيء لاصطحابي يا ريك؟».

- وجدنا أنه من الأفضل أن تتم الأمور بهذه الطريقة ونسافر معاً إلى أوستراليا..

- تسعدني رفقتك جداً. إلا أنه كان بوسعنا أن نلتقي هنا، ونسافر معاً على متن هذه الرحلة.

رماه ريك بنظرة ساخرة: «كان من الممكن ألاَّ تتعاون معنا من هذه الناحية.. فقد اعتدت على القيام بالأمور على طريقتك.. لذا قررنا أن أقوم بهذه الرحلة، وأحرص على إحضارك معي».

قطّب جوني جبينه: «هل تحسبان أنه ينبغي على أحدهم أن يمسك بيدي؟».

- كلا.. المسألة مسألة توقيت فحسب.. زد على ذلك أنه ثمة أمور أخرى لم أطلعك عليها بعد.. لم يشأ ميتش أن ينقل لك الخبر على الهاتف.. فعهد إلي بهذه المهمة وأوصاني بأن أتأكد أولاً من تغلبك على صدمة موت باتريك.

أحسّ من جديد بتقلُّص في معدته.

- هات ما عندك.. فأنا الآن جالس في مكان مقفل.. ما الذي تخفيه عني؟.

نظر إليه ريك ملياً، فوجده مستعداً لتلقي الخبر:

- إنها وصية باتريك.. كانت بحوزة ميتش فقام بفتحها بعد موته.

www.elromancia.com

أجاب جوني وقد خفّت حدة توتره بعض الشيء:

- لا أظنها وصية جائرة.. لطالما كان باتريك عادلاً.

- هل أنت مستعد لتلقي صدمة جديدة يا جوني؟ غوندامورا مرهونة للمصارف، وأنت على وشك أن ترث نصفها..

- ماذا؟.

وغرقت خلايا ذهنه في بحر من الريبة!.

- ترك لك باتريك ٤٩٪ منها، فيما ترك النسبة الأكبر لـ ميغان، لتتمكن دوماً من الإمساك بزمام الأمور.. ولكنني لا أخالها كانت تتوقع أن تتقاسم إرثها معك يا جوني.. فمنطق الأمور يقول إن الميراث يوزع بين الأولاد مناصفة.

شريك ميغان في ملكية غوندامورا!.

- طلب مني ميتش أن أبلغك بالأمر قبل وصولك إلى غوندامورا!.

كانت أفكار جوني مشوشة! ماذا يعني ذلك؟.

لِمَ حرم باتريك ابنتيه من الميراث؟ لِمَ اختاره وريثاً بدلاً من ريك أو ميتش؟ وأحسّ بموجة عظيمة من الرعب تجتاحه، فمد يده وأمسك بذراع صديقه:

- لم أطلب منه أن يفعل ذلك يا ريك! أقسم لك بأنني لم أكن على علم بالأمر!.

- لم يخطر على بالي، لحظة واحدة، أنك قد تفعل ذلك يا جوني.

أجابه ريك مطمئناً: «إنني واثق من أن باتريك خطط للأمر من تلقاء نفسه».

- لِمَ اختارني أنا؟ ليس عدلاً..

وعبثاً حاول أن يجد كلماته...

- هل شرح لـ ميتش السبب حين كتب وصيته؟.

هز ريك برأسه: «لم يكتب وصيته في حضور ريك!.. كتبها لوحده ثم أرسلها له مختومة، منذ قرابة الشهرين».

- شهران!.

هز جوني برأسه مذهولاً: «أظنه اتخذ قراره بعد عيد الميلاد».

- لعله شعر بأن أيامه باتت معدودة!.

- تباً! لِمَ لم يقل لنا شيئاً؟ ذهبنا جميعاً إلى غوندامورا، في عطلة عيد الميلاد!.

- لا أظنه كان ليفسد علينا فرحتنا بالعيد، لو أنه أحسّ فعلاً بأنه لن يعيش طويلاً، ليحتفل معنا بأعياد الميلاد المقبلة!.

رفع جوني يديه محبطاً: «أتريد أن تعرف رأي (ميتش) في الموضوع؟».

أومأ جوني برأسه يحثّه على الكلام، وقد عجز عن تحديد السبب الحقيقي الكامن وراء هذه الخطوة الغريبة: «اختارك باتريك لتنقذ غوندامورا.. من الصعب أن تفعل ميغان ذلك بمفردها.. فبعد ما سببه الجفاف من خسائر فادحة، لن تتمكن من دفع فوائد الرهن... والحق يقال إنك لطالما وجدت في غوندامورا منزلاً لك.. أكثر مني أو من ميتش...».

تنهّد جوني جيئه: «صحيح أن لـ ميتش منزلاً تقيم فيه والدته وأخته، ولكني حسبتك...».

وتلاقت عيناهما: «أظنك تحتاج إليها أكثر مني يا جوني.. لا يمكنك أن تنكر أنها لامست شيئاً في داخلك.. فذلك يظهر جلياً في أغانيك».

نعم... إنه يحتاج إليها.. فالمهنة التي اختارها ترتكز بشكل أساسي، على المظاهر، ولبلوغ قمة النجاح، عليه أن يقضي معظم أيامه بالتجوال من مكان إلى آخر... وحده التفكير في غوندامورا كان يساعده على الحفاظ على سلامة عقله... وكلما عاد إلى هناك، أعاد وضع الأمور في نصابها، وتمكن من

التمييز بين ما هو واقعي وغير واقعي.

- لن تبقى الأمور على حالها من دون باتريك.

واعتصر الألم قلبه.

- كان روح غونداموراً.

- أظنك نسيت ميغان.

ميغان! حاول جوني أن يتجنب التفكير فيها في تلك اللحظة، وصورة عينيها الرماديتين الحاقدتين عليه لحصوله على نصف أملاكها لا تفارق ذهنه...

- لم يأتِ باتريك على ذكر ابنتيه جيسي و أميلي..

قال جوني ذلك محاولاً أن يبعد تفكيره عن تلك المرأة، التي ستصبح، من الآن فصاعداً، مصدر إزعاج له.

أجابه ريك محاولاً أن ينعش ذاكرته:

- أسست إبنتاه حياة جديدة لهما بعيداً عن غونداموراً، ولم يبخل باتريك عليهما بالمال، في سبيل تحقيق طموحاتهما.. وأظنهما تدركان جيداً أنهما نالتا حصتهما من ميراث والدهما... فجيسي تخرجت من كلية الطب، وافتتحت عيادة لها في اليس سبرينغ، فيما تملك أميلي شركة خاصة بطائرات الهيليكوبتر في كيرنز... ولا شك أن رأس المال الذي خصص لهما ساهم، بطريقة أو بأخرى، في تراكم الديون على غونداموراً...

أقر جوني بصحة كلامه... ولكن منزل العائلة يبقى منزلاً للعائلة، وإبعادهما عنه جائر بعض الشيء...

من ناحية أخرى، كان باتريك يتمنى أن يراه مقيماً بشكل دائم في المزرعة.

- عليك أن تبعد عن غونداموراً النحس الذي يلازمها، وتعيد إحيائها من جديد يا جوني.

وتوقف ريك عن الكلام قليلاً، ثم تابع يقول: «كانت نظرة باتريك إلى

الأمور صائبة... لطالما كانت نظرته إلى الأمور صائبة».

شعر جوني بالارتياح لدى سماعه كلام ريك ويبدو أن ميتش يوافقه الرأي أيضاً.. غير أن ميغان لن تتقبل هذا الواقع برحابة صدر، شأنها شأن أميلي وجيسي، على الرغم من أن مصالحهما تكمن بعيداً عن غونداموراً...

علاوة على ذلك، اختارت كل واحدة منهما زوجاً يشاطرها الاهتمامات عينها.. فزوج جيسي طبيب، عضو في الجهاز الملكي للأطباء الجوّالين، وزوج أميلي ربّان طائرة هيليكوبتر..

وحدها ميغان بقيت عزباء من دون زواج.. لا عجب في ذلك، وشكلها الخارجي يوحي بالخشونة والعدائية... ليتها بقيت تلك الأخت الرقيقة، السهلة الانقياد، الحلوة المعشر، التي ترحب به في المزرعة بحفاوة، وتقبل أن يمد لها يد العون، بلا تردد...

أرجع جوني رأسه إلى الخلف وأغمض عينيه محاولاً الاسترخاء.. أمامهما أربع عشرة ساعة ليصلا إلى سيدني، على أن يستقلا بعدها الطائرة الخاصة التي ستقلهما إلى غونداموراً، في شمالي غربي نيو ساوث ويلز.. في المناطق الداخلية في أوستراليا.

أحسّ جوني بمفاتن تلك البقعة النائية من العالم تسيطر على أفكاره، بأراضيها الشاسعة، والسماء الزرقاء.. أرض لها إيقاع خاص بها، يثير فيه أحاسيس رائعة!.

كانت ميغان النغمة الوحيدة النافرة فيه، تقف في الوسط تنتظره، والسخط يتآكلها، وقد أرغمت على مشاطرة ملكية غونداموراً معه.

هل كانت نظرة باتريك للأمور مصيبة حقاً؟. من الناحية المالية، يستطيع جوني أن يستثمر أموالاً طائلة في غونداموراً، من دون أن يشعر بذرة أسف..

جلّ ما عليه أن يفعله هو أن يحول المبالغ المتوجبة للمصارف، بغية فك رهن المزرعة، ثم يرسل لميغان ما يكفي من المال لتستعيد الأعمال ازدهارها ثانية..

غير أنها لن تحبذ وجوده في غونداموررا . . فخلال السنوات القليلة الماضية، كانت نظراتها تؤكد له بأنها تجد فيه إنساناً دخيلاً، غير مرغوب فيه.

«ولكنني من أهل البيت». أكد جوني ذلك في نفسه، وقد عقد العزم على التمسك جيداً بميراث باتريك، بصرف النظر عن ردة فعل ميغان. . إنه شريكها في المزرعة، وله الحق بأن يقصد غونداموررا ساعة يحلو له، وعليها أن تقبل به كرفيق مساعد لها.

أتراه سيتمكن، مع مرور الزمن، من التخفيف من حدة تحاملها عليه؟.

بدأت الكآبة التي غمرت روحه، تتلاشى شيئاً فشيئاً، وقد وضع نصب عينيه هدفاً عليه أن يحققه مهما كلفه الأمر. . فـ غونداموررا أرض بدائية، والحياة فيها تحدٍ مستمر، من الضروري الفوز به، للبقاء والازدهار. . .

والأهم من ذلك كله هو أن جوني مقاوم عنيد، ولن يخشى مواجهة هذا التحدي. . . فهو يحتاج إليه، ولن يتخلى عن أي شبر من غونداموررا مهما حصل. . . فـ باتريك عهد أمر الاعتناء بها إليه.

٢ - إعلان حرب

بعد أن أنهت ميغان جولاتها الصباحية، وعالجت المشاكل العالقة، وتأكدت من أن أوامرها تنفذ بحذافيرها، راحت تتبادل أطراف الحديث مع العائلات المقيمة في المزرعة، مؤكدة لهم أن الوضع الراهن لن يتبدل وستبقى الأمور على حالها. .

كان حري بها أن تشعر بالارتياح وقد لاحظت أن الإحباط الذي استولى على الجميع بدأ يتبدد، منذ ساعات الصباح الأولى، غير أن السبب الكامن وراء ذلك أثار سخطها. .

إنه جوني الذي وصل البارحة إلى غونداموررا برفقة ريك دوناتو. . جوني الذي يزرع الفرح على الوجوه. . . والذي مجرد التفكير فيه يثير البهجة في القلوب. .

إنه السحر الذي ولد معه بالفطرة. . سحر يذكرها دوماً بغبائها لأنها كانت تخاله يكن لها شيئاً مختلفاً. . .

لكن جوني لا يعرف معنى التمييز، إذ اعتاد أن يغدق على الجميع اهتمامه، بالقدر عينه. . . أما علامته الفارقة في عالم موسيقى البوب، حيث سطع نجمه، فمجرد عروض مسلية، لا تعني شيئاً البتة. . .

ولما أدركت هذه الحقيقة المرة، لملمت ميغان جراحها، وحاولت أن تمضي قدماً. . . غير أنها تمنت أن يخرج من حياتها إلى الأبد، فلا يرجع، في كل مرة إلى غونداموررا، ليذكرها بمدى سذاجتها، لأنها سمحت لنفسها بأن تقع فريسة

www.elromancia.com

جاذبيته الآسرة.

كانت اهتماماته محصورة بأشياء أخرى، وبنجاحاته الباهرة في مختلف أقطار العالم..

أيعقل أن يلتقي درباهما؟ أبداً..

لمَ غفل عن ذلك والدها؟. أتراه لم يفكر إلا في حاجتهم الماسة إلى المال.. فاختار الشخص الوحيد القادر على أن ينفق بضعة ملايين من الدولارات من دون أن يأسف عليها...؟.

ما له لا قيمة له شأنه شأن سحره!. وقررت ميغان في سرها ألا تأخذ منه إلا ما يكفي من المال للحفاظ على سير الأعمال في المزرعة... إذ من الصعب جداً أن تتفادى مواجهة جوني ايليس لتناقش معه ما ينبغي القيام به، لا سيما أنه وصل البارحة إلى المزرعة برفقة ريك، على متن طائرته الخاصة التي اعتاد أن يقودها بنفسه...

من المؤكد أن ميتش أخبره بأمر الوصية...

في مطلق الأحوال، لم تتخيل ميغان قط بأن جوني قادر على البقاء بعيداً، من دون المشاركة في جنازة والدها... غير أنها أملت أن يشغله عمله الجديد في قطاع السينما، عن التردد بشكل دائم على غونداموراً.. فوالدها رحل، ورحلت معه إرشاداته ونصائحه المفيدة.

عادت ميغان إلى المنزل والدموع تغشى عينيها.. لم تشأ أن تستسلم لإحساسها بالإهانة من تصرف والدها، غير أن الحزن على خسارته فاق قدرتها على الإحتمال، لأنه وضعها في موقف لا تحسد عليه، وأرغمها على القبول بـ جوني ايليس كشريك لها في غونداموراً...

في بادىء الأمر، أصيبت ميغان بالذهول لدى سماعها شروط الوصية... غير أن ذهولها ما لبث أن تحول إلى موجة عاتية من التمرد، تغذيها رغبة جامحة بالطعن بها... فدار جدال طويل بينها وبين أختيها، إلا أن رفض جيسي

وإميلي القاطع معارضة مشيئة والدهنَّ، جعلها عاجزة عن الإقدام على أي إجراء قانوني... وفي خضم إحباطها، ناقشت المسألة مع ميتش وحاولت أن تلمح إليه بأن جوني أثر على والدها بطريقة سلبية... أليس صحيحاً أنه يلقب بـ جوني الساحر؟.

أحسّت ميغان بعيني ميتش الزرقاوين الثاقبتين توبخانها بصمت، لمجرد تفكيرها في الأمر.. فيما جعلتها كلماته اللاذعة تخجل من نفسها: «هل يستحق والدك منك ذلك»؟.

وانتظر ليسمع ردها... غير أنها التزمت بالصمت بعناد، ونيران الغضب تتأجج في داخلها، وقد ساءها أن يتقد الجميع وجهة نظرها..

قال لها ميتش، في نهاية الأمر، بصوت منخفض:

- إن أردت الطعن في الوصية فابحثي عن أحد سواي.. إنني هنا بصفتي محامي باتريك، ومن واجبي أن أسهل تنفيذ رغباته.. إنني أدين له بذلك، بعد كل ما فعله من أجلي.

وجدت ميغان نفسها، حائرة في أمرها، وقد أظهر لها ميتش شهامة لا غبار عليها.. فلم تجد أمامها سوى أن تستغل نقاط ضعفه، وتحثه على التعاطف معها:

- لمَ اختار جوني بالذات؟ فتح أبي أبواب منزله لك ولريك أيضاً... ألا تشعر بالإهانة لأنه فضل عليك نجم موسيقى البوب؟.

لم يكن من الصعب عليها أن تتشاطر ملكية المزرعة مع ريك أو ميتش.. فهي بأمسّ الحاجة للمساعدة، في ظل الظروف التي تمر بها المزرعة حالياً...

كان ريك يتمتع بالمؤهلات اللازمة لمعالجة المشاكل بدقة، من دون أن يجرح مشاعرها... أما ميتش، فلن يتوانى عن تلبية حاجتها بنزاهة، وكفاءة عالية..

ولكن جوني إيليس . . ذلك الفتى الذي أمضى سنوات عمره كلها يعزف الموسيقى أمام جمهور مفتون به؟ . . .

عقد ميتش حاجبه : «ألم تفهمي خيار والدك بعد؟».

أجابته بتحدٍ: «وهل فهمته أنت؟».

- أجل . . وربك كذلك الأمر . . . أنصحك بالتحدث مع جوني قبل الإقدام على أي خطوة عدائية يا ميغان . . . لعل ماضيه لا يعجبك، لكن . .

- أعرف جيداً ما أصبح عليه اليوم.

- لم يتوصل جوني بعد إلى الاقتناع بشخصه . . أظن أنه . . .

وتوقف قليلاً عن الكلام وقد تحولت رزانته إلى سخرية غريبة :

- هل علّمك باتريك لعبة الشطرنج؟.

- أجل . . . كنا نلعب معاً بين الحين والآخر . . .

- لطالما كان يحبذ هجوم الحصان.

- ما علاقة ذلك بموضوعنا؟.

- إنها استراتيجية يا ميغان . . اعتاد والدك أن يدرس استراتيجياته بدقة لا حدود لها . . . إياك أن تظهري استخفافك بمشيته، حين تتحدثين مع جوني . . . غوندامورا كانت كل شيء في حياة باتريك، كما هي كل شيء في حياتك . . أظنه عرف جيداً كيف يقسمها . . .

ما برحت لسعة هذه الكلمات تؤلمها . . لم تكن ميغان خبيثة بطبعها، ولم تشعر يوماً بالغيرة من اعتزاز والدها بالصبية المنحرفين الثلاثة، الذين جعل منهم رجالاً صالحين، أو من الحب العميق الذي كان يكنّه لهم . . . غير أنها لم تحبذ أبداً فكرة أن يقتحم جوني ايليس حياتها كلما رغب بذلك . . . وتمنت في سرّها لو أنه تزوج بإحدى النساء الفاتنات اللواتي اعتاد على معاشرتهنّ، حتى لا يجد متسعاً من الوقت ليتنغص على عالمها ساعة يحلو له ذلك . .

في مطلق الأحوال، لن يتمكن جوني من المكوث طويلاً في غوندامورا، وعليه أن يرحل فور إنهاء الجنازة، لإنجاز فيلمه السينمائي . . .

لن تقف ميغان حجر عثرة في طريقه، وستدعه يحقق الهدف الذي يسعى وراءه، طالما أنه سيبقى بعيداً، ويدعها تتولى زمام الأمور في غوندامورا . . .

توجهت ميغان إلى المطبخ والأفكار تتضارب في رأسها وتشوش تفكيرها . . كانت تتوقع أن تجد جوني هناك، جالساً مع ايفلين، يتلذذ بطعامها الشهي ويستمتع بتملقها له بافتتان مقزز للنفس.

بدأت مدبرة المنزل بالعمل لدى عائلة ماغواير منذ نعومة أظافرها . . . فقد ولدت في المزرعة، وتولت والدة ميغان تدريبها على إدارة المنزل بدقة متناهية. كما اعتادت هي أن تفعل قبل أن تصاب بمرض السرطان الفتّاك . . .

كان الجميع يحب إيفلين، ويكن لها الاحترام الشديد، غير أن اهتمامها المفرط بجوني ايليس، وكأن الشمس تشرق من أجله، كان يزعج ميغان كثيراً.

ألا يكفيها أنها لا تمل أبداً من الاستماع إلى أغانيه، وتعيد تشغيل أسطواناته مراراً وتكراراً؟؟!

لا شك أنها منهمكة الآن بتحضير أطباقه المفضلة، متناسية الأزمة التي يمرون بها في الوقت الحالي . .

حاولت ميغان أن تكبح استياءها من تساهلها معه، وهي تفتح باب المطبخ . . وإذا بها تترنح مكانها مصعوقة، وقد رأت مدبرة المنزل الرصينة تبكي على كتف جوني، ووجهه مدفون في شعرها، فيما كان يحيط بخصرها بيد، ويربت على ظهرها باليد الأخرى . .

بدا جلياً أن إيفلين أطلقت العنان لمشاعر الحزن التي كبتتها خلال الأيام القليلة الماضية، ووجدت بين أحضان جوني عزاءً لها . .

تسمّرت ميغان أرضاً وقد أدركت في تلك اللحظة أنها غرقت وأختيها في

الحزن على موت والدهنَّ، وتناسينَ أمرها، من دون أن يخطر على بالهنَّ أن موته قد فجعها أيضاً...

وحده جوني منحها ما كانت تحتاج إليه من عطف وحنان... وكتف تبكي عليه. أليس هذا ما احتاج إليه أنا أيضاً؟.

أحسَّت بالوحدة تمزِّق قلبها إرباً إرباً... جيسي وإميلي تعيشان مع زوجيهما.. وريك وميتش يعيشان مع زوجتيهما.. وبعد رحيل والدها، لن تجد من يواسيها ويخفف عنها.. رؤية جوني إيليس معانقاً إيفلين زاد الطين بلّة..

ليس عدلاً أن يبدو أشبه بصخرة قوية يمكن الاستناد إليها.. فحياته كلها ترتكز على المظاهر فحسب..

حوَّلت ميغان نظرها إلى حذائه الخاص بركوب الخيل - وكأنه لا يزال يلعب دور راعي البقر - ولاحظت أن سرواله الجينز يبرز قوة بنيته.

لا شك أن المعجبات بفنه يتشينَّ حبوراً أمام سحره المثير...

تساءلت ميغان في سرها، كم من امرأة عرف في حياته.. أتراه يخرج، كل ليلة، مع امرأة واحدة أو أكثر؟...

من المؤكد أن ذلك ليس صعباً عليه، ويكفي أن يلوح بإصبعه لينال مبتغاه، ولا سيما أن المعجبات يلاحقنَّه من مكان إلى آخر...

لم تجد ميغان سبيلاً لإنكار جاذبيته الكبيرة.. فبنيته ضخمة تلفت الأنظار، ووجهه قوي ينبض بالرجولة، بفكه المربع الشكل، وأنفه المستدق، وعينيه الخضراوين البراقتين وفمه الممتلىء، الدائم الابتسام، الذي يكشف عن صف من الأسنان الناصعة البياض.. أما بشرته فسمراء وشعره فني...

وإذا بها تسمعه يقول بصوت خافت:

- أظن أنه يجدر بي أن أعد لك كوباً من الشاي يا إيفلين.

توقف النحيب... ورفعت إيفلين رأسها مبتسمة وقالت بنبرة مؤنبة:

- لا.. لا..

رفعت يدها تداعب خده برقة، فيما كان يحررها من عناقه.

- أشكرك لأنك سمحت لي أن أفضي إليك بمكنونات قلبي.. ولكن لا أريدك أن تفسد علي متعتي.. فاجلس ودعني أهتم بأعمالي.

لم تكن ميغان قد أفاقت بعد من ذهولها، قبل أن يبتعد جوني عن إيفلين، ويلتفت صوبها ليجدها واقفة عند عتبة الباب.

أحسَّت بتقلُّص في معدتها وقد تشابكت نظراتهما، وقرأت في عينيه تعابير التعاطف معها.. لم تكن بحاجة إلى تعاطفه.. لم تكن بحاجة إلى شيء منه.. وليلعنها الله إن وضعت يوماً رأسها على كتفه منتحبة!

- ميغان... ادخلي..

دعاها إلى الدخول، وبداه تومآن لها بالتقدم نحوه، ليتولى زمام الأمر.. «لن تكون صاحب أمري أبداً».

أقسمت ميغان بذلك في سرِّها، بحدة.

- أخبرتني إيفلين بأن والدك كان يمسك بصورة والدتك حين عثرت عليه.

ثم تابع يقول بنبرة حزينة: «أظن...».

- نعم.

أسرعت تقاطعه وقد أحسَّت بالدموع تسد حنجرتها:

- أتمنى أن يلتقيا معاً في العالم الآخر.. لقد اشتاق إليها كثيراً...

وأضافت بسرعة محاولة أن تقاوم موجة العواطف الجياشة التي اجتاحتها:

- أتراك ستعرف يوماً ما هذا النوع من الحب يا جوني؟.

تصلبت قسمات وجهه وكأنه تلقى صفعة مدوية، فيما شهقت إيفلين

مصعوقة . . .

أدركت ميغان أن زلة لسانها هذه لا تغتفر، فعضت على شفتها من شدة الانزعاج . . عليها أن تتعامل مع هذا الرجل، ومن الأفضل أن تتسّم علاقتها به بالفتور . . .

- أظن أن هذا النوع من الحب بات نادراً .

جاء رده موزوناً للغاية .

- لا سيما في محيطك! .

أفلتت منها تلك الكلمات قبل أن تتمكن من ردع نفسها .

- آنسة ميغان .

وتحول لوم إيفلين لها إلى شيء من الحسرة . . .

صرّت ميغان على أسنانها آية الرجوع عن أفكارها . . . وراحت تحملق بتحدٍ بالرجل الذي عرف، على الأرجح، عدداً لا يحصى من النساء، ولم يحاول أن يرتبط جدياً بأي منهنّ . .

بدا جلياً أن كلماتها ضربت وتراً حساساً، فأحست بالرضى وهي تراه يرمقها بنظرات لا أثر فيها لأي تعاطف .

- وفي محيطك أيضاً يا ميغان .

كانت نبرة صوته أشبه بسوط حريري .

- إلا إن التقيت برجل أحلامك خلال الأشهر القليلة الماضية .

أجابته بغطرسة : «ليس لدي الوقت لذلك» .

- بالمناسبة . . .

- يجب أن نتحدث! .

أسرعت تقاطعه قبل أن يتسنى له أن يستلم زمام الأمر خلال اجتماع العمل

بينهما : «أرجو أن تنضم إليّ في المكتب بعد أن تنهي فطورك» .

أجابها بلطف : «كما تشائين» .

- حسناً . . . ستجدني في انتظارك .

وأسرعت تخرج من المطبخ، مقفلة الباب خلفها، وتوجهت بخطى واسعة، تنبعث منها طاقة عنيفة نحو المدخل الرئيسي للمنزل . . . صعدت ميغان السلم المؤدي إلى الشرفة المسقوفة المحيطة بالمنزل، للاتقاء من شمس أوستراليا الحارقة . . شمس لا تعرف الرحمة . . .

وقفت عند أعلى الدرج تتأمل المباني الملحقة بالمزرعة، والتي جعلت غونداموا تبدو، من فوق، أشبه ببلدة صغيرة . . . فهنا سقائف للجز والصيانة . . . وهناك حظائر للمواشي، ملحقة بالمختبر . . . وإلى جانبها أكواخ للموظفين الدائمين، وأبنية بسيطة للعمال الموسميّين . . . وعلى مقربة منها، منزل الطاهي، ومتجر المؤون، ومبنى المدرسة . .

كانت ميغان في الثامنة والعشرين من عمرها، وهذه هي حياتها . . . الحياة التي اختارتها . . الحياة التي أحبتها . .

لم تكن تحتاج إلى رجل في حياتها . . رجل يفيض منه السحر! .

جلّ ما تحتاج إليه هو أن تعود هذه الأرض واحة خضراء من جديد . . فأوراق أشجار الفلفل ذابلة ومغطاة بالغبار . . والأراضي الممتدة إلى ما لا نهاية، بنيّة اللون، تعلوها سماء زرقاء خالية من الغيوم ولا تبشر بالمطر . .

ليت الأمطار هطلت بغزارة هذه السنة، لتبعد عن غونداموا طيف الجفاف، فلا يقرر والدها أن يكتب تلك الوصية التي جعلت من جوني إيليس عنصراً ثابتاً في حياتها . .

غير أن ذهنها بقي مشغولاً، يتردد فيه سؤال واحد . .

كيف ستمنعه من التدخل في شؤونها؟ أو كيف سيسعها، على الأقل، أن

تحد من حضوره؟.

دخلت ميغان إلى المنزل، وقد أخذت هذه الفكرة تترسخ شيئاً فشيئاً في رأسها... فعبرت الرواق الطويل الذي يشطر هذا القسم من المنزل إلى قسمين، وتوجهت مباشرة نحو مكتب والدها...

ما إن اجتازت عتبة الباب، حتى وجدت نفسها مشدودة إلى طاولة الشطرنج قرب النافذة، وهي تسترجع في ذهنها كلام ميتش عن الاستراتيجيات التي كان والدها يختارها بعناية...

كانت القطع البيضاء والسوداء مصفوفة، جاهزة للعب، وتدل على أن مباراته الأخيرة مع ميتش - عبر الإنترنيت - قد بلغت نهايتها.

حدّقت بالفارس الأبيض والحيرة تقض مضجعها.. لمَ اختار والدها جوني إيليس ليقود حملة الإنقاذ؟.

ولما وجدت نفسها عاجزة عن إيجاد أجوبة على تساؤلاتها، جلست على الكرسي الجلدي خلف طاولة المكتب.

إنه كرسي كبير ويليق برجل.. صحيح أنه لا يليق بها من الناحية الجسدية، ولن يليق بها أبداً، إلا أن والدها منحها الحق بالجلوس مكانه، ولن تسمح لـ جوني بالجلوس فيه، وهما يتحدثان سوياً.

كان جوني يكبرها بعشر سنوات. ولكن ذلك لا يخوله التحكم بها أو بالقرارات التي قد تصدر في هذه الغرفة... فهي تملك ٥١٪ من غونداموراً، وتمسك بالدفّة بين يديها.. ولن تدع الملايين التي جمعها من عمله كمغني بوب تغيّر هذا الوضع...

٣ - ملكة محاصرة

«كن رقيقاً معها»...

أخذت كلمات ريك تتردد في رأس جوني فيما كان يدنو من مكتب باتريك... لكن موقف ميغان منه حال دون تنفيذ ذلك... فمساء البارحة، بالغت في تهذيبها، متفادية الاحتكاك به.. وهذا الصباح، تحدّث محاولاته الخبيثة لإظهار تعاطفه معها، واستغلتها لتوجه إليه ضربة قاسية على مسمع من إيفلين.

كان حري به ألا يرد لها الصاع صاعين ويعيرها بافتقارها إلى شخص يملأ عليها حياتها... إنه تصرف خسيس من قبله، لا سيما وإنها فقدت والدها منذ فترة وجيزة...

لوى جوني فمه استياءً من عجزه عن السيطرة على نفسه..

من الأفضل أن يحافظ على رباطة جأشه خلال هذا الاجتماع ولا يسمح لـ ميغان بأن تزعجه.. فهو أكبر منها سناً وأكثر منها وعياً...

لحسن الحظ أن إميلي وجيسي لم تثيرا له المتاعب... إذ رحبتا به بحرارة ليلة البارحة، مؤكدتين له أن همهما الوحيد هو مستقبل ميغان في غونداموراً.. فالوضع في مزرعة الماشية متدهور جداً، وهما تعتمدان عليه لضمان مستقبلها فيها...

عليه أن يثبت لهما أن ثقتهما في محلها، على الرغم من اعتراض ميغان على ذلك!.

وقف جوني عند عتبة باب المكتب، وأخذ نفساً عميقاً ليهدأ أعصابه، ثم قرع الباب بكل تهذيب معلناً وصوله، لتتمكن ميغان من الاستعداد لمواجهته...

دخل الغرفة، وقد عقد العزم في سره على أن يتسلح بالدبلوماسية قدر المستطاع، إلا أنه لم يكن مهيأً للمشهد الذي أعدته له ميغان... وإذا بحسه برجاحة العقل يتبدد في الحال..

كانت ميغان تجلس في كرسي باتريك..

أيعقل أن تأخذ مكانه قبل أن يدفن؟ أليس الوقت مبكراً بعض الشيء؟.

حاول جوني أن يتمالك نفسه وهو يمعن النظر في المرأة التي ينبغي عليه التعامل معها..

كانت إمارات التحدي البادية في عينيها خير دليل على مغزى احتلالها كرسي والدها... دليل على السلطة التي تشعر بها أو تحتاج إليها في هذه اللحظة.

فضلاً عن ذلك، اختارت ميغان الجلوس خلف طاولة المكتب لتجعل منها مسافة فاصلة بينهما، مما أوحى إليه بحساسيتها المفرطة تجاه مسألة تعاملها معه.

حاول جوني أن يجد أفكاراً أكثر ودية، ولكن من دون جدوى.

- ميغان!

ناداها برقة وهو يومىء لها برأسه لتبادر إلى البدء بالاجتماع:

- يسرني أنك تمكنت من المجيء يا جوني.

وجد ترحيبها به لطيفاً إلى أن استطردت قائلة:

- نظراً لانشغالك في تصوير فيلمك الأول...

أسرعت الأفكار الودية تطير هاربة بعيداً.. بعيداً جداً..

نظر إليها بتحدٍ غاضب وكل عضلة من عضلات جسمه تنبض بالعدائية لاستخفافها بمشاعره تجاه والدها.

لم ينبس ببنت شفة إلا أن قوة غضبه تسللت إليها، إذ اجتاحت موجة من الحرارة عنقها ولذعت خديها فأبرزت نمشها.. مما أضاف شيئاً من الفتنة إلى أنفها الصغير الشامخ.. غير أن جوني لم يكن يرى فيها، في تلك اللحظة، فتاة فاتنة، بل فتاة صغيرة.. من المحال أن يراها كبيرة بما فيه الكفاية لتحل محل والدها..

أشارت إلى الكرسيين المجاورين لطاولة الشطرنج مشيحة بنظرها بعيداً عنه: «تفضل بالجلوس».

كان صوتها أجش وكأنها تدفع كلماتها لتخرج بصعوبة من حنجرتها الضيقة.

تقدم نحو طاولة الشطرنج، ودفع كرسي ميتش إلى الخلف - وليس كرسي باتريك - ثم جلس وجهاً لوجه أمام ميغان.

في تلك اللحظة، تنبه إلى أن الشاه الأسود مرمي على أرض رقعة الشطرنج... ما هذا؟ مات الشاه.. ولتحيا الملكة!.

أبعد الكرسي عن طاولة الشطرنج وقربها من طاولة المكتب، ثم جلس عليها، وقد صمم في سره أن يكتفي بالإصغاء إليها، متفادياً إثارة عدائيتها أكثر... عدائية لم يكن يملك أدنى فكرة عن سببها..

حدّق بها منتظراً أن تبدأ بالكلام...

كانت الموجة القرمزية قد بدأت تنحسر عن وجهها تاركة بشرتها شاحبة ونمشها أكثر بروزاً.

منذ سنوات طويلة، وميغان ممتنعة عن التبرج.. صحيح أن فضولها دفعها، في سن المراهقة، إلى طلي وجهها بالمساحيق إلا أنها كانت يومها إنسانة

تنبض بالسعادة وتستمتع برفقته . . كم من اللحظات السعيدة مرت عليها، وهما يضحكان معاً ويتسامران . . . ولكن منذ أن غادرت المزرعة لتلتحق بإحدى كليات الزراعة، تغير شيء فيها . .

الحق يقال إن جمالها قد يبدو أخّاذاً إن بذلت القليل من الجهد . . فعظام وجهها بارزة، وعيناها كبيرتان، تلمعان تارة كالفضة، وتغمرهما الكآبة طوراً لتصبحا أشبه بالسحب المكفهرة . . . أما ثغرها فملآن، حين لا يكون مشدوداً استياءً منه، وشعرها أحمر مجعّد، غالباً ما تشده بإحكام خلف عنقها الطويلة الجميلة . .

بدا جلياً أن الشكل الخارجي لا يعني لها شيئاً، ولا تكترث بتاتاً بأنوثتها . . متى كانت المرة الأخيرة التي ارتدت فيها فستاناً؟ .

فسروال الجينز والقمصان المربعة هي زيها المفضّل . . ربما تحاول أن تبدو أشبه بالرجال فيها، ولكن محاولتها كلها تذهب هباءً . . فعلى الرغم من الجهد البالغ الذي تبذله لإخفاء أنوثتها، كانت معالمها واضحة ومن الصعب أن يخالها أحد رجلاً . .

في الواقع، ساهم نفورها منه خلال السنوات القليلة الماضية في تعزيز نظرته إليها كامرأة، محركة في أعماقه مشاعر ليست في محلها، ولا تليق بابنة باتريك . . .

هل كانت تفضل لو أنها ولدت صبياً؟ أتراها تكن له البغض لأنه يتمتع ببنية جسدية شبيهة ببنية والدها؟ .

لم يشأ جوني أن يبادر بالكلام، ولكن السؤال الذي أخذ يدور في رأسه كان ملحاً ويشكل جزءاً لا يتجزأ من الوضع الذي ينبغي عليهما تسويته . فخرجت الكلمات من فمه تبحث عن جواب قد يبرر موقف ميغان ماغواير منه: «ما الذي حل بالفتاة التي كانت تحبني؟» .

لم أعد فتاة صغيرة . . .

لم تشأ ميغان الرد أو التحدث عن الأحداث الهامة التي وسمت رحلتها الطويلة وصولاً إلى حيث كانت تقف في تلك اللحظة .

نظرت إلى الرجل الواقف أمامها والبالغ الثامنة والثلاثين من العمر، وهي لا ترى أمام عينيها إلا فتىً مراهقاً، اعتاد أن يؤلف لها الأغاني في صغرها . . . أغاني أيقظت في داخلها أحلاماً من الصعب أن تتحقق . . .

غير أن انجذابها الكبير إليه تحطم، في نهاية الأمر، على صخور الواقع الأليم، حين تخلف عن حضور عيد ميلادها الواحد والعشرين . . أرادت ميغان يومها أن تظهر أمامه بصورة المرأة الناضجة . إلا أن بلوغها سن الرشد لم يكن يعني له شيئاً، إذ بقي في الولايات المتحدة منهمكاً في أعماله، مرتمياً بين أحضان إحدى النساء اللواتي يشاركنه بريق الشهرة . .

فهو لا يرى فيها إلا ابنة باتريك ماغواير الصغرى، التي يعاملها بلطف كلما سنحت له ظروفه بزيارة غونداموا . .

وحده والدها استطاع أن يعيده إلى غوانداموا حين ترك له نصف أملاكه تقريباً، وزجها في شراكة سخيفة ومحبطة للآمال، مع رجل هدفه الوحيد في الحياة، ارتقاء أعلى درجات الشهرة .

- أتحتاج إلى أن يحبك الجميع يا جوني؟

هز كتفيه استهجاناً، وعيناه لا تفارقان عينيها للحظة واحدة:

- غالباً ما أعرف السبب وراء عدم حب بعضهم لي . . . ولكنك تثيرين حيرتي يا ميغان . . ما الذي فعلته لأستحق هذا الكره كله؟ . . من الأفضل أن تفضي إليّ بمكنونات قلبك في الحال قبل أن نبدأ بالعمل معاً . .

أجابته على الفور:

- ما الذي قد يدفعني لكرهك يا جوني؟ لطالما كنت أجدك ساحراً . .

ولم تكن تكذب في هذا الشأن .

- كما بالنسبة إلى العمل معاً، لا أظنك تريد فعلاً المشاركة في إدارة غونداميورا . . . فعليك أن تنجز فيلمك السينمائي، فضلاً عن الاستعداد للبدء بالأفلام الأخرى التي في جعبتك.

رد عليها ببرودة: «إنه الفيلم الوحيد الذي وقعت عقده. . ينبغي أن يحكم الناس أولاً على أدائي، قبل أن أتلقى عروضاً أخرى».

- إنني واثقة من براعتك . . .

قاطعها قائلاً: «دعينا لا ننجم بالغيب. . الهدف الأساسي من اجتماعنا هذا هو معالجة المشاكل التي تواجهها غونداميورا . . أليس كذلك؟».

ورفع حاجبيه تحدياً وأضاف: «هلا كنّا صريحين في هذا الشأن؟».

أحست بنيران الغضب تتأجج في داخلها من جديد . . .

- لا داعي للقلق بشأن غونداميورا يا جوني. . سأهتم بأمرها بنفسي.

قالت له ذلك بنبرة تدل على عناد شرس.

- لا شك عندي في قدرتك على القيام بذلك يا ميغان. . لا سيما إن توفرت الموارد اللازمة لتخطّي الأزمات التي سببها الجفاف. . وهنا يبدأ دوري.

النقص في الموارد. . من الصعب أن تنكر أنها تفتقر إلى الموارد، على الرغم من حسن الإدارة. . فقبل أن تبدأ المشاكل التي سببها الجفاف بالتفاقم، اقترض والدها مبلغاً كبيراً من المال من المصرف، ليموّل شركة إميلي. . ولما وجد نفسه مرغماً على إنقاذ الماشية من الهلاك، ودفع أجور العمال، عاد واقترض المزيد من المال. . فيما كانت أسعار الصوف تشهد تدهوراً ملحوظاً. . فبات حجم الرهن كبيراً جداً، ولم يعد بوسع ميغان دفع الفوائد خاصة وإن السماء لا تبشر بهطول الأمطار في المستقبل القريب. .

ولنفترض أن المطر هطل في الغد، سيلزمها وقت طويل لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه. .

لم يعد أمامها سوى أن توافق على صفقة الإنقاذ التي يعرضها عليها جوني ايليس لتحافظ على غونداميورا. . تلك المزارع التي لم تعد ملكاً لها برمتها. . بل كان شريكاً لها فيها. . وهي لا تعرف بعد في أي اتجاه سيقود هذه الشراكة. .

أقرت ميغان قائلة بفتور: «نحتاج إلى أموال طائلة».

أومأ برأيه موافقاً: «سأفك الرهن حتى لا يضايقك المصرف بعد اليوم».

بهذه السهولة!؟.

شمخت ميغان بأنفها وهي تدرك مدى سهولة الأمر بالنسبة إليه، في حين كانت تحسب كل فلس تنفقه.

- كلا. . لن تفعل!.

تعالى رفضها من عمق أعماق كبريائها. . فقطّب جوني جبينه قائلاً: «ولكنني أملك المال يا ميغان».

- لا أريد أن أدين لك بواحد وخمسين بالمئة من الرهن.

حدّقت به بتحدٍ: «إن سددت تسعة وأربعين بالمئة منه، يمكنني أن أطلب قرضاً جديداً من المصرف لأتدبر أموري. .».

- ولِمَ تتكبدين هذا العناء كله؟.

ولوح بيده بعصبية وقد نفد صبره من معاندتها له.

أجابته بحدة: «لأنني لن أقبل إحساناً منك».

- إحساناً؟.

ونهض من مكانه وهو يحدق بها بغضب، وقد بدا لها ضخم الجثة - مثل والدها - وتنبعث منه قوة تريد أن تنسف وجهة نظرها من أساسها. .

- إنني أدين لهذا المكان بحياتي. . ولا أريد أن أراه ينهار. . عرضت على والدك. .

وأقفل فمه محاولاً أن يكبح دفق العواطف الجياشة..

ماالذي عرضه على والدها؟ هل أثّر عليه ليكتب تلك الوصية.

تقدم جوني إلى الأمام، وضغط بيديه على المكتب، منحنياً قليلاً نحوها، وقد أخذ الشرر يتطاير من عينيه.

- أعلم أنني أملك الحق بأن أفعل ما أريد فعله.. أعطاني باتريك الحق في ذلك.

- لم يعطك الحق في التدخل في حصتي.

- يمكنك أن تعيدي إليّ المال، حين تسمح ظروفك.. إن كنت مصرة فعلاً على ذلك.. ولكن المهم هو ألا يضع المصرف يده على غونداموررا..

- لنفترض أنني أذعنت لرغبتك.. أتظن أنني لن أحتاج إلى الاستدانة ثانية؟.

قالت له ذلك بنبرة ساخرة، وهي تدرك أنه يجهل تماماً حقيقة الوضع.

- سأفتح لك حساباً مصرفياً تنفقين منه.

أبت التخلي عن عنادها: «لن أفعل ذلك!».

- لا أحد يعلم كم سيدوم الجفاف.

- سأسوي أموري على طريقتي.

تملك جوني الإحباط.. تريد ميغان أن تعرّض غونداموررا للخطر ثانية، في الوقت الذي لا يجد مبرراً لذلك..

أراد أن يمسك بها ويهزها بعنف ليعيدها إلى صوابها، ولكن العزم كان بادياً في عينيها الرماديتين اللتين ورثتهما عن والدها.. فأدرك أن عليه أن يجد طريقة أخرى لإقناعها بقبول عرضه.

استقام في وقفته وأشاح بنظره بعيداً، ثم توجه نحو النافذة وراح يتأمل الرقعة

الخضراء الصغيرة المتبقية في غونداموررا..

لن تكفي الملايين التي جمعها لإعادة الخضرة إلى مزرعة المواشي الشاسعة.. وحده المطر.. المطر الغزير قادر على ذلك..

إلا أنه يستطيع استعمال هذه الأموال الطائلة لتسديد الديون ودفع الأجور، وإعادة الإحساس بالأمان إلى قلوب المقيمين هنا.. فيتشجع كل الذين رحلوا عن المكان على العودة إليه، فيتظرون زوال الجفاف ليسترجعوا الأوقات السعيدة من جديد..

- أتفضلين أن أشتري حصتّك يا ميغان؟

طرح عليها هذا السؤال فجأة وقد لاح له طيف أمل من بعيد..

- كلا!.

كان ردها الحازم متوقعاً، وأكدت له عيناها أنها لن تغادر غونداموررا إلا إن أرغمت على ذلك..

هز جوني كتفيه بلا مبالاة: «حسبتك تكرهين التعامل معي».

- تخطيت الحدود يا جوني!.

قالت له ذلك بقساوة: «يمكنك أن تفك الرهن عن حصتك.. فهذا من حقّك!».

أجابها بصوت أجش: «أتريدين أن ترسمي خطاً في وسط غونداموررا وتشطرينها إلى شطرين لأنفق قدر ما أشاء من المال وأنقذ حصتي البالغة ٤٩٪ من المزرعة».

«كن رقيقاً معها...».

لعل المثل الشائع القائل إنه على المرء أن يتصرف بقساوة ليكون لطيفاً فيه شيء من الصحة...

صرّت ميغان على أسنانها: «لا أظن أن والدي كان ليرضى بذلك».

www.elromancia.com

– هل خطر لك يوماً أن تفكري ملياً في رغبة والدك الحقيقية عوضاً عن الاكتفاء بالسعي وراء تحقيق رغباتك الخاصة؟.

– لم يقبل منك المال وهو حيّ.

أجفل لدى سماعه كلامها الذي يذكّي كرهها له.

– لأنك لم توافقي على ذلك.

– كلا... لم أعلم بالأمر إلا منك أنت.

كانت عيناها تتهمانه بالتأثير على باتريك ليكتب تلك الوصية، فأسرع يقضي على تكهناتها الخاطئة قائلاً: «عرض ريك وميتش عليه المساعدة أيضاً.. عرضنا عليه المساعدة جميعاً..».

تملكتها الحيرة: «ولمَ اختارك أنت؟».

بدا جلياً أن الأمر يزعجها كثيراً.

– هل تعتبرين ريك وميتش أفضل مني؟.

كان يختبرها، محاولاً التأكد ما إذا كانت لا تحبذ أيضاً وجود صديقيه في حياتها. فتهربت من الرد قائلة: «لا علاقة لذلك في موضوعنا».

– أظن أنه وثيق الصلة بالموضوع.. ولمَ لا تريدينه أن يختارني أنا؟.

لفتت انتباهه الحمرة التي عادت تعلو خديها من جديد... فأخفضت ميغان عينيها وأعلنت بحدة: «يمكنني أن أتدبر أموري لوحدي.. فبعد تقليص حجم الرهن، يمكنني...».

– ماذا لو تعذر عليك ذلك؟ لمَ تريدين المخاطرة؟.

وتوقف قليلاً عن الكلام، وقد تأكد في قرارة نفسه من أن المشكلة تكمن فيه شخصياً.

– هل كرهك لي كبير إلى حد أنك لا تتحملين أن أمد لك يد العون؟.

انفجرت ميغان غاضبة وضربت بكفيها على طاولة المكتب، فيما مالت إلى الأمام قائلة بحدة: «لا أكرهك! هذا غير صحيح!».

– ما الذي ترينه صحيحاً يا ميغان؟.

تبددت عاصفة المشاعر التي هبت في عينيها وحلت محلها غيوم سوداء كئيبة.. فقرأ الرد على وجهها.. لا شيء... هل كانت تعاني من الاكتئاب النفسي بعد رحيل والدها؟.

– لست أدري.. لست أدري.

تمتمت بتلك الكلمات وهي تهز برأسها بيؤس. ثم ارتمت في مقعدها مرخية كتفيها بإحباط.

بدت تعسة جداً، فأحسّ جوني، للمرة الثانية، هذا الصباح، برغبة ملحة بالامساك بها واحتضانها بين ذراعيه، ليخفف عنها ويعدها بأن كل شيء سيسير على خير ما يرام. وتذكر أنه سبق وفعل ذلك يوم كانت لا تزال طفلة صغيرة.. إذ وقعت مرة فيما كانت تركض نحوه مسرعة، تريد أن تخبره شيئاً، وجرحت ركبتها... فتعلقت به، وكلها ثقة بأنه سيخفف عنها ويزيل وجعها...

كم أحبّ تلك الفتاة الصغيرة.. ابنة باتريك الصغرى..

ماذا لو كان الهدف من وصية باتريك أن يعتني بـ ميغان؟.

ولكن كيف له أن يفعل ذلك؟.

عليه أن يبدأ من الصفر ويعتمد استراتيجية لتساعد ميغان على تخطي كبريائها...

إن كانت لا تكرهه فعلاً، فلا بد من وجود عوامل أخرى ساهمت في اتخاذها هذا الموقف منه... لعلها ارتبطت بعلاقة حب فاشلة، خلال متابعتها تحصيلها العلمي في كلية الزراعة، وقررت بعدها الحفاظ على استقلاليتها، والسعي إلى الحلول محل والدها في المستقبل.

ماذا لو بقيت متمسكة بهذا النمط الرتيب؟ كيف يسعه أن ينقذها منه؟.

لن تقبل إحساناً منه مهما كلف الأمر...

خطرت له فكرة... فكرة غريبة جداً.. ولكن كلما تمعن التفكير فيها، كلما بدت له مغرية، من مختلف الأصعدة، لا سيما لجهة التخلص من مقاومة ميغان له، وإذعانها لرغباته...

عليه أن يخرج نفسه من هذا المأزق الحرج، ولا شك أن الصدمة التي سيسببها لها عرضه، ستحثها على الإفصاح عن مكنونات قلبها صراحة ليتمكن من تكوين فكرة واضحة عن نظرتها إليه..

لن يخسر شيئاً إن عرض عليها الفكرة.. وإن استخفت بها، ستجد نفسها مرغمة على تبرير نفسها، وإعطائه حججاً مقنعة..

رسم جوني على ثغره ابتسامة ساخرة وقال لها: «أتعلمين شيئاً يا ميغان؟ ستحظين بحق التصرف بكل ما أملك... إن قبلت الزواج بي...».

٤ - جوني الساحر

الزواج به؟...

أحست ميغان بفكّيها يتخدران من تأثير الصدمة.. وشوشت الشكوك أفكارها لبضع ثوانٍ.. فيما راح قلبها يتخبط بين ضلوعها من شدة الإثارة... لكنها ما لبثت أن أدركت معنى الكلمات التي تفوه بها. فاشتعلت نيران الغضب في داخلها وهبت واقفة من مكانها ترميه بنظرات ساخطة:

- أتظنني أوافق على الزواج بك من أجل المال؟.

لم تنتظر رده، وقد أثار اقتراحه سخطها، فأسرعت تهاجمه لا يردعها رادع:

- كيف تجرؤ على معاملتي وكأنني واحدة من أولئك النسوة اللواتي لا يخرجنَّ معك إلا من أجل مالك؟.

ولوحت بيديها بقرف مضيفة: «إنه خير دليل على أن أفكارك باتت ملوثة نتيجة نمط الحياة الذي تعيشه.. تشتري امرأة هنا.. تشتري امرأة هناك.. وتتخذ عشيقة لك في كل مرفأ تحط رحالك فيه».

ووضعت يديها على خصرها مبرزة مفاتنها التي ليست للبيع:

- لكنك لن تجد واحدة في غوندامورا... لأنني أرفض أن أنضم إلى قافلة حريمك حتى وإن مت جوعاً.

أثارت علامات التسلية البادية على وجهه غيظها، فيما راحت عيناه تومضان بوميض خبيث وخطير: «أتحسبيني إنساناً لا يكل ولا يتعب من النساء، يتنقل من امرأة إلى أخرى من دون أن يتذكر حتى أسماءهنَّ؟».

www.elromancia.com

حلقت فيه بغضب متمنية في سرها لو أنها لم تطلق العنان للسانها . .

تقدم جوني نحوها مومئاً لها لتتابع حديثها :

- أود أن أعرف السبب الذي جعلك تكونين هذه الصورة عني! .

- هل تنكر بأن النساء يلاحقنك أسراباً أسراباً؟ .

وشبكت ذراعيها قرب صدرها محاولة أن تكبح جماح المشاعر التي اجتاحتها وقد بدا لها جذاباً للغاية وهو يدنو منها . . فقالت له هازئة، آملة أن توقفه كلماته عند حده: «كل من يدخل دكان حلوى، يعرض نفسه لإغراء تذوقها» .

لم تؤثر كلماتها فيه، وتابع نحوها ليقف عند الجهة الأخرى من طاولة المكتب . . أخفض عينيه لتقابلا عينيها فرأت فيهما سخرية لاذعة، جعلت قلبها يعصر من الألم، ويخفق بشدة معلناً احتجاجه :

- هل تفوهت يوماً بهذه الكلمات أمام والدك يا ميغان؟ .

- كلا! ولم تراني أفعل ذلك؟ إنني واثقة من أنه كان يعي جيداً ما تفعله يا جوني . .

كانت نبرتها مفعمة بالمرارة .

- هذا صحيح . . وأخذ وقتاً كافياً ليدرك ما عانيت منه في السادسة عشرة .

- السادسة عشرة! .

وأدارت عينيها مضيفة : «لم تكن يومها نجماً مشهوراً!» .

- كلا . . كنت فتىً مشرداً لم يعرف من أمور الحياة إلا استغلال الآخرين، واستغلال الآخرين له . . . إنه نظام مستديم من سوء المعاملة! .

قطبت جبينها وقد عجزت عن استيعاب الصورة : «لم تكن الإبتسامة تفارق ثغرك!» .

هزَّ كتفيه لا مبالاة : «وجدت في الابتسامة وسيلة للوقاية من الشرور، فضلاً عن أنها تخفي ما لا يريد أن يعرفه أحد» .

أجفلت ميغان وردت عليه قائلة : «كنت أعلم أن سحرك الأسطوري كان متكلفاً» .

دفعته إشارات الرضا في نبرة صوتها إلى النظر إليها بسخرية . .

- في بادىء الأمر، وجدت في ذلك وسيلة للبقاء . . غير أنني أصبحت اليوم قادراً على إشاعة الارتياح في النفوس . أتعتبرين ذلك تصرفاً غير أخلاقي؟ .

- إنه تصرف مضلل! . قد يخال الناس أنهم مميزون بالنسبة إليك في حين أنهم لا يتركون أي أثر في حياتك . .

- كل إنسان مميز يا ميغان .

اخترقت نظراته دفاعاتها كلها فيما طغى الانفعال على نبرة صوته : «ألم يعلمك والدك ذلك؟ ألم يظهر لك إيمانه بذلك، وحفاظه على هذا الإيمان راسخاً في ذهنه، طوال أيام حياته؟» .

وانتقلت عيناه إلى الكرسي الذي أخلته بعد أن تملكها الغضب . .

أومأ برأسه إلى الكرسي قائلاً :

- علّمني باتريك أن أحب فرديتي وأقدّرها . . وشرح لي الأسباب التي ينبغي أن تمنعني من السماح لأحد باستغلالي أو إساءة معاملتي، خاصة وأن ذلك يقلل من قيمة شخصي . . وعلمني أيضاً أن أحافظ على إيماني بالموسيقى التي أحبها وأشق طريقي بنفسي لأخرج من نفق الاستغلال وسوء المعاملة الذي أمضيت فيه معظم أيام حياتي . .

إساءة معاملة . . ؟ لم تفكر يوماً بحياته التي سبقت مجيئه إلى غوندامورا . . .

هل كانت طفولته سلسلة من الصدمات؟ مضى على ذلك وقت طويل . . وأصبح اليوم رجلاً ناجحاً . . ولكن أترى طيف الماضي لا يزال

يحوم حوله؟.

رماها بنظرة حادة وتابع يقول:

- هذا ما أنا عليه ولا أحاول أن أقلل من قدر أحد لأبدو أهم منه شأناً.. ولا أستغل المنصب الذي وصلت إليه لأقبل كل ما يعرض عليّ، لأسباب لا أجدها وجيهة.. وأشعر بالأسف على الأشخاص الذين يتدافعون لأنهم لم يتعلموا أن يقدّروا أنفسهم.. يخالون أنهم إن حصلوا على قطعة مني، ستصبح حياتهم أفضل.. ولكن ذلك لن يحصل.. فالتغير يبدأ من الداخل.

كان خطابه مؤثراً وحثّها على إعادة النظر في الصورة التي رسمتها له في مخيلتها.. حسناً... ولّى زمن سوء المعاملة.. والفضل يعود لوالدها...

ولكن أيعقل أن يرفض الإغراءات القوية التي تعترض سبيله؟.

- لا أعبث مع المعجبات بي يا ميغان...

استطرد جوني كلامه وكأنه يقرأ أفكارها...

- لكنهم يتركون أثراً في حياتي.. وأحاول أن أترك أثراً في حياتهم من خلال كلمات أغانيّ التي تتضمن القيم نفسها التي علمني إيّاها والدي.. كان باتريك على علم بالأمر... ولست أدري لماذا تخالين عكس ذلك..

عظيم! علاوة على اعتلائه عرش السحر، حلّت الآن عليه القداسة!.

نظرت إليه بازدراء، وهي عاجزة عن استيعاب هذه النبالة المبالغ فيها:

- إنك إنسان! أما بالنسبة إلى أغانيك، أظن أنها فكرة تجارية ذكية أن تتلاعب بالأحلام التي تراود الآخرين.. كم أنت ماكر يا جوني!.

رماها بنظرات ساخرة:

- وتريدينني أن أعود إلى الشارع الذي أنتمي إليه، أليس كذلك يا ميغان؟.

- كلا.. فهوليود ترحب بك فاتحة لك ذراعيها.

- المهم هو أن أترك غونداموراً لك وحدك.. لامرأة مفعمة بالمرارة تفضل أن تراها ميتة على أن يمد رجل يد المساعدة لها...

صعقت لدى سماعها هجومه المعاكس فأسرعت ترد عليه بعنف:

- لست مفعمة بالمرارة!.

- ماذا حل بك؟ هل شعرت بأن رجل ما استغلك؟

- هذا الأمر لا يعنيك!.

- بلى يا ميغان.. بات الأمر يعنيني منذ أن بدأت تعاملينني باحتقار، وكأنني حيوان مسعور.

- حسناً.

سلّمت ميغان بخطته من دون أن تزيل أسلحة الدفاع كلها..

- لا يمكنك أن تلومني على نظرتي إليك بهذه الطريقة.. فنجوم البوب يستولون على كل ما يقع أمامهم!.

- ولكنني لست مثلهم.. وعلى الرغم من ذلك ساويتني بهم لأنني رجل فحسب..

- لأنك جوني الساحر..

قالت له ذلك ساخرة، وقد استاءت من محاولاته الخبيثة لقلب الأدوار ورفع النقاب عن حياتها الشخصية:

- ولا يمكنك أن تنكر افتتان العديد من النساء بك!.

- ولكن ليس ميغان ماغواير.

كانت نبرة صوته ساخرة.

- إنها ترفض أن تسير مع القطيع وتفضل أن تقف بعيدة، وهي مشمئزة من رفقته!.

طفح الكيل.. وتخطى هذه المرة حدوده..

- ما الأمر يا جوني؟ أتريد أن يعبدك الجميع؟.

نظر إليها بعينيه الثاقبتين وقال: «لمَ تضمرين لي الحقد يا ميغان؟ لم أستغلّك أو أسيء معاملتك.. هل وقعت في كلية الزراعة في حب شاب فاسق يستغل سحره ليغوي النساء ويجرهنَّ إلى سريره؟».

- لمَ نراك لم تتزوج حتى الآن؟ أليس لأنك فاسق أيضاً؟.

ردت عليه بالمثل محاولة النضال لإيجاد ثغرة تساعدها على تبرير موقفها..

لوى جوني قسمات وجهه وقد بدا مستغرقاً في التفكير:

- لم أجد امرأة واحدة أستطيع اصطحابها معي إلى هنا.

هز جوني برأسه وابتعد عن طاولة المكتب وقد ظهرت إمارات الكآبة على وجهه وهو يتوجه نحو طاولة الشطرنج.

- لم يتردد ريك للحظة واحدة بشأن إحضار لارا إلى هنا.

لم تدرك ميغان صلة ذلك بالموضوع. كانت لارا تحتاج إلى مكان آمن تلجأ إليه.. وهل من مكان أفضل من مزرعة للماشية نائية؟.

- وأحضر ميتش كاترين.

التقط الشاه الأسود الذي أوقعته على رقعة الشطرنج ومرر إبهامه على الخشب المنقوش وكأنه يريد أن يبعث فيه الحياة..

- أدركنا في الحال علاقتنا بباتريك وغوندامورا.

استطرد جوني كلامه وقد تحولت نبرة صوته إلى رقيقة عميقة...

- وتحملنا المسؤولية، وقبلنا بها..

ولكنهما لم تقيما هنا.. بل في قلب المدينة.. أقرّت ميغان بذلك في سرها فيما كان جوني يعيد الشاه إلى رقعة الشطرنج ويوقفه في مكانه، منحنياً أمامه

باحترام، قبل أن يلتفت نحوها وعلى ثغره ابتسامة حزينة.

- لم أعرف في حياتي نساء أظهرنَ استعدادهنَّ لمشاركة جوني إيليس حياته.. وحدها حياة جوني الساحر تثير اهتمامهنَّ.

هزت ميغان برأسها بارتباك: «لقد أضعتني».

- أضعتك منذ زمن طويل يا ميغان.

ومال برأسه قليلاً ليتأملها بإعجاب.

- وأظنك أضعت نفسك أيضاً.. إنك تبذلين قصارى جهدك لإنكار نفسك كامرأة، فتخفين أنوثتك خلف ملابس تليق بالرجال، وتضمين شعرك..

أسرعت تدافع عن نفسها بحرارة: «أجد ذلك عملياً نظراً لطبيعة عملي».

تحولت نظراته إلى ذراعيها المشبوكتين: «ترسل كل خلية من خلايا جسمك رسائل مستعجلة تحذر من الاقتراب منه... لا شك أن زميلك في الكلية تمكن من خداعك.. حسبت أن ابنة باتريك تملك الشجاعة الكافية لتتفادى الوقوع ضحية خداع أحد.. وتدرك جيداً قيمة نفسها!».

- إنني أدرك قيمة نفسي!.

ولوحت بذراعيها بريبة: «ولهذا السبب، لن تتمكن من شرائي بعرض الزواج».

- إنها فكرة استفزازية أكثر منها عرضاً للزواج يا ميغان.

ولوى فمه بتهكم ساخر: «أظن أنني استفزيتك بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟».

أحست بالندم الشديد لكشفها أوراقها كلها أمامه.. لم يكن جاداً في كلامه.. نصب لها شركاً ووقعت فيه..

تملّكتها رغبة شديدة بالعودة إلى كرسي والدها لتستمد منها الطاقة التي

تحتاج إليها . . ولكنها أدركت أن جوني سيحتقرها إن طالبت بذلك الكرسي من جديد، في ظل الظروف الراهنة . . .

عليها أن تفعل شيئاً لتنتزع منه المبادرة . . فدارت حول طاولة المكتب لتقف قبالته ويداها متكئتان على حافتها، متخذة وضعية مريحة وتوحي بالسلطة في آن معاً . . وإذا بها تنفوه بأول فكرة طرأت على رأسها آملة أن تحجم جوني إيليس .

- ماذا لو وافقت على الزواج بك؟ .

ومن دون أن يفقد ذرة من رباطة جأشه، ابتسم لها ابتسامة عريضة . . ابتسامة تمنت أن تمسحها عن وجهه . .

بلغ سخطها ذروته حين سمعت رده المزلزل :

- يمكننا أن نبدأ بالتحضير لحفل الزفاف . .

لم يكن يقصد ذلك . . . لم يكن يقصد ذلك حتماً ! .

كان يحدق بها منتظراً أن يتصدع درعها ليريق المزيد من دمائها . . .

رفعت رأسها إلى الخلف بازدراء وقالت له : «لا شك أنك تمزح» .

- حقاً؟ منذ فترة ليست ببعيدة كان الزواج عبارة عن دمج للأملاك . . .

بدت عيناه وكأنهما تتحديانها فيما تابع يقول : «وإنجاب ورثة لها . .» .

أحست بتقلُّص في معدتها وقد مرت في ذهنها صورة جوني إيليس يحضن أولادهما بحنان . . وإذ رفض عقلها بشدة أي رغبة بإقامة علاقة معه، أسرعت ترد عليه بنبرة مفعمة بالتهكم :

- ولّى زمن الإقطاعيين منذ زمن بعيد وأكره الإقدام على زواج من دون حب، ليجوب بعدها زوجي العالم بحثاً عن مغامرات عاطفية عابرة .

رفع حاجبيه ذهولاً : «حسبت أن غونداموا هو حب حياتك . . . فلِمَ تكترثين لأمر زوجك وما يفعله، خلال رحلاته، طالما أنه سيضمن مستقبلك هنا؟» .

كان جوني يسلك دروباً ملتوية ليجعل كل ما هو منافٍ للمنطق يبدو منطقياً في نظرها . . فأعلنت بعناد محاولة أن تضع حداً لهذا الحديث السخيف :

- سأصنع مستقبلي بنفسي .

ذكرها قائلاً : «عليك مشاطرتي إياه في مطلق الأحوال» .

- ولكن ليس بشكل حميم .

- قد يكون ذلك متحداً ! .

- كفى يا جوني ! .

صرخت ميغان في وجهه وقد بلغ الإحباط منها مبلغاً . . وبدلاً من أن تشبك ذراعيها من جديد، تركت يديها تتدليان على الجانبين وقالت :

- لا تلعب معي هذه اللعبة السخيفة .

رد عليها في الحال : «ليست سخيفة إلى هذا الحد . . رفعت النقاب عن تحاملك الجائر عليّ سنوات طويلة . . . فأرجو أن تضعيه الآن جانباً لتتمكن من التعامل معاً كصديقين . . .» .

واستطرد كلامه قائلاً :

- صديقان يتشاطران الهدف عينه . . إنقاذ غونداموا . . فكلانا يهتم لأمر هذا المكان . . ما عليّ سوى أن أزودك بالمال لتفعلي به ما يحلو لك لإنقاذ المزرعة . . . إن المسألة في غاية البساطة . . . ولا تنسي أنها رغبة والدك أيضاً . .

رفعت ميغان عينيها إلى جوني إيليس فرأت أمامها جبلاً من التصميم الثابت الذي لا يتزعزع . . .

لن يدعها وشأنها قبل أن توافق . . ولن تجني شيئاً أبداً من مقاومته . . بل على العكس، ستوقظ كل ما حاولت كتمانه عنه . . . لقد أمر والدها بذلك . . . والدها ! .

أحست بغصة في حلقها وترقرقت الدموع في عينيها . . . فدارت حول

المكتب من جديد، ثم وقفت قرب كرسي والدها، تقبض على إطارها الخشبي، آملة أن تتسرب القوة الكامنة فيها إلى أعماقها...

ابتلعت ميغان ريقها بصعوبة، وكابدت على نفسها لتخرج الكلمات من فمها: «حسناً.. ما عليك سوى أن تزودني بالمال لأعمل على إنقاذ غوندامورا.. إذهب الآن وناد ميتش لتنجز المعاملات المالية».

- ميغان..

أحست بقشعريرة تسري على طول عامودها الفقري لدى سماعها نبرة صوته الرقيقة..

- اذهب.. أرجوك!.

سمعته يطلق تنهيدة عميقة.

- أردت القول... أعلم جيداً أنك تعتبرين غوندامورا حقك الشرعي، ولست سوى دخيل في نظرك... ولكني ولدت في هذا المكان من جديد.. إنه منزلي أيضاً وسيبقى كذلك إلى الأبد.

أخذ جسدها يرتجف وهي تسمعه يتحرك من مكانه.. ولم تتمكن من الاسترخاء إلا بعد أن سمعت الباب يفتح ويغلق..

لقد رحل... لكنه سيعود...

فإن كان يعتبر غوندامورا منزله، حتى بعد وفاة والدها، سيعود من دون شك.

إنه يملك كل الحق في ذلك.. فوالدها ترك له ٤٩٪ من غوندامورا ولن تتمكن أبداً من التملص منه.

ماذا لو وافقت على الزواج به؟ هل كان سيتزوجها حقاً، إلى أن يفرق الموت بينهما؟.

إنه أمل كاذب... أمل كاذب وسخيف... سخيف جداً..

من المؤكد أنه سيرحل بداعي العمل كلما طاب له، ولن تتمكن من مرافقته، لأن غوندامورا تحتاج إلى وقتها واهتمامها كله.. فتبقى في هذه البقعة النائية فريسة شكوكها وحيرتها، تفكّر في الإنسانة التي تشاطره حياته بعيداً عنها!.

يا له من زواج ناجح!.

ولكن إن خانها يمكنها أن تطلقه وتضع يدها على حصته من غوندامورا...

يا إلهي! أفكارها أشبه بأفكار إنسانة قذرة.. كل ذلك لأنها... أغمضت عينيها محاولة أن تنبش الحقيقة الكامنة وراء ردات فعلها العنيفة تجاه جوني إيليس، منذ أن بلغت سن الرشد، وأدركت معنى التوق الشديد..

كم تمنت أن يحبها... يحبها وكأنها المرأة الوحيدة التي يريدها!

٥ - الأخت الصغرى

بعد نهار طويل ومرهق، شعر جوني بسرور عظيم حين اقترح عليه ميتش وريك القيام بنزهة بعد العشاء، ليتفقدوا مبنى العمال..

كانت النسوة منهمكات بإنجاز التحضيرات اللازمة للجنازة في الغد، فيما دخل زوجا جيسي وإميلي إلى صالة الألعاب، ليلعبا البليارد.

لا شك أن الجميع سيخلد باكراً إلى الفراش، لينعم بقسط وافر من الراحة استعداداً للوداع الأخير في اليوم التالي.

كم أحسّ جوني بالارتياح وهو يسير في تلك المنطقة النائية، تحت السماء المتلألئة بالنجوم، يربط بينهم تفاهم متين لا يحتاج إلى الكلمات...

سأله ريك: «هل تسير الأمور على خير ما يرام بينك وبين ميغان يا جوني؟».

- وافقت على قبول مساعدتي المالية.

تدخّل ميتش قائلاً: «قلنا لريك إن صفقة الإنقاذ جاءت في محلها.. ولكن سؤاله لا يتعلق بهذا الموضوع».

تنهد تنهيدة حزن: «تحولت من العدائية إلى السلبية المحايدة... إنني أبذل جهدي يا ريك.. فمع مرور الوقت...».

ذكره قائلاً بنبرة هادئة: «ليس لديك الكثير من الوقت».

- من الصعب على ميغان أن تتغاضى عن اهتماماتي الأخرى.. ولكنني

أظن أننا كسرنا اليوم بعض الحواجز...

قال له ميتش: «إنني قلق بشأنها.. تبدو لي أشبه بإنسانة مهزومة».

تقلّب جوني جبينه لدى سماعه وصف ميتش لها، وكأنه لم يرق له..

- إن ميغان هي ابنة باتريك وستتخطى حتماً هذه المحنة.

علّق ريك قائلاً: «يستحسن أن توطد صداقتك بها قبل رحيلك يا جوني».

- إنني أبذل جهدي.

قال ميتش: «المشكلة هي أنها صغيرة جداً في السن».

- لا أجدها صغيرة جداً مقارنة بما تفعله هنا... إنها قادرة على معالجة أمورها.. ولا أشك في هذا الأمر أبداً.

- أقصد القول إنها صغيرة جداً في السن لتفهمك يا جوني... إنك راعي بقر، أرجو ألا تكون قد عاملتها بخشونة هذا الصباح.

- خشونة؟ دعني أقول لك شيئاً... إن كنت راعي بقر، فهي صبّار شائك.

ضحكَ ريك: «أرى أنها تمكنت من إغاظتك، أليس كذلك؟».

فاق كلامه قدرة جوني على الاحتمال: «قلت لكما إنني أبذل جهدي».

نصحه ميتش قائلاً: «ذلل العقبات يا جوني! إنك بارع في ذلك!».

غير أن سحره لا يؤثر في ميغان... كان لريك كلمة أخيرة يقولها:

- وطّد صداقتك بها!.

صداقة!.

كان جوني يواجه صعوبات جمّة حيال هذا المفهوم!

لم يجد جوني عبارات أفضل يتفوه بها أمام ميغان في ظل الظروف الراهنة... والحق يقال إنها تبذل جهدها للتعامل معه على هذا الأساس...

فبعد موافقتها من دون تردد، على الإجراءات المالية التي وضعها بمساعدة ميتش، أوقفت هجماتها الضارية عليه. وأسرعت، بعد الغداء، تعرض عليه المشاكل الملحّة التي ينبغي معالجتها في غونداموراً.

غير أنه رأى برودة في عينيها، تنطوي على قلق عظيم، ولمس فتوراً في صوتها ينم عن انزعاج شديد..

لم يقدر جوني على إخفاء إعجابه الكبير بخبرتها الواسعة في إدارة المزرعة، إلا أن الرغبة الملحّة التي سيطرت عليه، بتدليلها والتخفيف عنها كانت تشتت أفكاره بين الحين والآخر. ووجد نفسه ينظر إليها كامرأة، متأملاً ثغرها المثير وعينيها المتلألئتين، وخصلات شعرها الثائرة التي أفلتت من المشبك المشدود بإحكام خلف عنقها، ويديها الرشيقتين، وعادتها العصبية بتمرير أبهامها على طرف أصابعها... فأحس بتوقٍ شديد للإمساك بيدها علّه يتمكن من إزالة توترها.

ترك حديثها الصباحي حول علاقاته مع النساء تأثيره عليه. وأخذت الأفكار المعذبة تتدافع في رأسه، محركة في أعماقه حاجات تخطت حدود التصرفات النبيلة.

شعر جوني بأنها عانت من الكبت لسنوات طويلة، وأراد أن يحررها من الذكريات الأليمة ويمنعها من أن تضيع نفسها...

أيعقل أن يكون ذلك ثمرة توقه إليها؟ لا شك أن كبرياءها أيقظت رجل الكهف الراقد في داخله، من سباته.

غير أنها لا تشعر بشيء تجاهه كرجل.. أو حتى كزوج.. والحق يقال إن عليه العودة إلى أريزونا لينجز الفيلم، مطلقاً يدها في غونداموراً..

لم يكن الوقت ملائماً للتودد إلى ميغان... فالمهم هو أن يرسخ علاقة العمل بينهما ليتمكنا من إنقاذ المزرعة من الجفاف...

وعند عودته - بعد أشهر طويلة - قد تعامله بلطف وتظهر له شيئاً من

اللهفة.. والغريب في الأمر هو أنه كان يفضل وميض الازدراء في عينيها الرماديتين الكئيبتين، على تلك النظرة الباردة الخالية من أي معنى...

كان المبنى خالياً من العمال، بعد أن رحلوا جميعاً تاركين للعمال الدائمين المقيمين في الأكواخ، مهمة القيام بأعمال المزرعة...

توجه الرجال الثلاثة نحو الأسرّة التي شغلوها في الماضي، واستلقوا عليها باسترخاء، وقد تدافعت في أذهانهم ذكرى المخاوف والأحزان والأحلام التي تشاطروها في ظلمة تلك الليالي الطويلة...

تحدّثوا عن باتريك.. والحديث عنه كان شغلهم الشاغل.. فأثار ذلك، في قلب جوني، كل المشاعر القوية التي كان يكنّها لغونداموراً.. وقرر أن يأخذ إجازة من عمله، بعد الانتهاء من تصوير الفيلم، ليعود إلى المزرعة ويقيم فيها فترة من الزمن، علّ ذلك يعيد البهجة إلى روحه...

سنوات طويلة مرّت منذ كان صبياً مراهقاً في السادسة عشر من عمره، انقلبت خلالها حياته رأساً على عقب. كانت رحلة طويلة، شهدت أحداثاً مرضية، إلا أن حبه القوي لدياره لم يخمد أبداً.. وها هو باتريك يعيده اليوم إلى دياره..

إنها وصيته ورغبته الأخيرة. وعليه أن يشاطر غوانداموراً مع ميغان...

ماذا لو تنازل عنها لها؟ يمكنه إنقاذ المزرعة من الإفلاس ويحرص على ألاّ تواجه في المستقبل مشاكل عسيرة، ثم يتنازل عنها لابنته..

إنها هدية مقابل هدية الحياة التي منحه إياها باتريك.

ما الذي كان يجول في رأسه حين وضع تلك الوصية؟.

أحسّ بنفسه ملزماً على كشف النقاب عن هذه الحقيقة... ولكن أين تكمن تلك الحقيقة؟.

كانت أفكاره مشتتة في اتجاهات عدة. إلا أنه لم يستطع البوح بها أمام ريك

وميتش، فمشاعره تجاه ميغان حميمة جداً... ولم يجد من داعٍ لإظهارها أمامهما...

بعد أن غادروا مبنى العمال، وتمنوا لبعضهم البعض ليلة سعيدة، تملكت جوني الغيرة، وهو يرى صديقيه، يتوجهان إلى غرفتيهما، حيث ينتظر كل واحد منهما، زوجة تحبه... زوجة متفهمة ومحبة...

تمشّى جوني حول الشرفة المحيطة بالساحة الداخلية، للمنزل المؤلف من أربعة أجنحة.. ثم توقف أمام باب غرفة نومه متململاً، آبياً الدخول إليها..

توجه نحو سياج الشرفة واتكأ عليه وهو يتأمل الزاوية الوحيدة التي لم يمت العشب الأخضر فيها..

تقع هذه الزاوية فوق بئر عميقة زُودَت بأنابيب لاستقاء الماء منها وري العشب ليبقى أخضر.. كانت الزاوية المفضلة لدى زوجة باتريك، التي وجدت فيها ملاذاً لها، في هذه المنطقة النائية..

كانت أشجار الفلفل مزروعة عند كل ركن من أركان الساحة الداخلية، ملقية بظلالها على المقاعد الموضوعة تحتها، لتقي الجالس عليها من شمس أوستراليا الحارة...

اعتاد سكان المزرعة جميعاً أن يجتمعوا في هذه البقعة، ليلة عيد الميلاد، لينشدوا الترانيم الميلادية، فيما يعزف جوني على الغيتار، وهو جالس...

أجفل جوني لدى رؤيته أحدهم جالساً هناك... فأدرك غريزياً أنها ميغان...

كانت ميغان جالسة لوحدها... مثله تماماً...

لم يخطر على باله أبداً أنها قد ترغب بأن تنعم ببعض الوقت لوحدها.. بل أسرع نحوها والرغبة بتقليص المسافة التي تفصل بينهما تجعل قلبه يخبط بين ضلوعه..

لا ينبغي عليه أن يتركها لوحدها. لم يكن يريدها أن تشعر بالوحدة، فباتريك أوصاه بأن يبقى إلى جانبها..

تسارع نبض ميغان وقد أدركت أن جوني رآها، ولم يتوان لحظة واحدة عن اللحاق بها...

كانت تريد التحدث إليه، فاختارت أن تجلس في تلك البقعة، آملة أن يلمحها قبل أن يدخل إلى غرفته.. ولكن شجاعتها خانتها، حين دقت ساعة اللقاء...

بعد العشاء، رافق جوني ريك وميتش إلى مبنى العمال، ليلقوا نظرة عليه، فأحسّت ميغان بعجزها وصغر سنها وقد فاتها أن تسأل عن ماضيهم- أو مدى العذاب الذي عانوا منه- غير أنها لم تكن قد تخطّت السادسة من عمرها يوم جاؤوا إلى غوندامورا...

لعل ثغرة العمر التي تفصل بينهما عميقة جداً ومن الصعب عليها أن تتخطاها..

يا لأحلامها السخيفة! لمَ تعجز عن كبحها؟.

- هل تسمحين لي بالانضمام إليك؟.

كان صوته عميقاً ورقيقاً، يحمل بين ثناياه وحشة الليل المظلمة.

رفعت عينيها إليه... كم هو ضخم الجثة- شأنه شأن والدها- ومنكباه العريضان يؤهلانه لحمل عبء غوندامورا.. من أجل والدها.. من أجلها... ولكن معها؟ ولبقية أيام عمرهما؟.

ارتجف ذقنها.. فأخذت نفساً عميقاً وقد قررت معاملته بلطف:

- إنه لَمِنْ دواعي سروري يا جوني!

جلس على المقعد قربها، منحنياً إلى الأمام، وقد أراح ساعديه على فخذيه، ووضع يديه بين ركبتيه..

- اشتقت إليه يا ميغان..

قال لها ذلك برقة بالغة: «أعلم جيداً أن حزنك عليه يفوق حزني بكثير.. لأنك كنت تقضين وقتك كله برفقته... تعملين معه و..».

- أرجوك!.

سدت دموع الألم حنجرتها، فكابدت على نفسها لتقول له:

- أريد التحدث معك في موضوع آخر..

أجابها بصوت أجَش: «كما تشائين!».

كما تشاء!... ليته يعرف ما الذي تريده منه.. هل حلمها مستحيل إلى هذا الحد؟..

لم يتزوج جوني بعد.. ولم يقابل المرأة التي يستطيع أن يجلبها معه إلى غونداموار... فإن أظهرت له مدى تفهمها لمشاعره.. مع أن ذلك بعيد عن الصحة..

أليس صحيحاً أن حياته كنجم موسيقى البوب تقف حاجزاً أمامهما؟.

التفت نحوها ثم مدَّ يده ليمسك بيدها قائلاً:

- ستمحين بصمات أصابعك بهذه الطريقة! هيا يا ميغان.. هات ما عندك! لم تترددي أبداً هذا الصباح.. وقلت لي جهاراً ما تشعرين به!.

- ولكن هدفي لم يكن صائباً.. أردت أن أنتقدك.. وأفسدت الأمر..

قال لها يهدىء من روعها: «لا عليك!».

- كلا!.

صرخت في وجهه آبية أن تدعه يتساهل معها.

- قال لي ميتش مرة إنني لا أعرف شيئاً عن جذورك.. ولكنني لم أبالِ يومها بالأمر لأنني لم أشأ أن أرى.. لم أشأ أن أجد أي سبب وجيه يبرر اختيار والدي

لك.

- أرى أن الأمر سبب لك صدمة مريعة، علاوة على الأمور الأخرى..

كانت يده في راحة يدها تشعل النيران على طول ذراعها.. فوجدت صعوبة في تركيز أفكارها على الكلمات التي تود قولها له.. إذ أخذت غرائزها الدفاعية تلح عليها لتنبذ لمسته، ولا تسمح لنفسها بالوقوع ضحية هذه الرعشة الغدَّارة.

- لم أسأل والدي يوماً عنك!.

خرجت تلك الكلمات من فمها بشكل عفوي وقد عقدت العزم على إزالة كل سوء تفاهم بينهما...

- لم أسأله عن حياتك السابقة... كنت جوني بالنسبة إليّ.. وأصبحت لاحقاً النجم جوني الذي سطع اسمه في كل مكان.

أجابها بنبرة جافة: «كنت سعيداً جداً، خلال سنوات المراهقة، بنظرتك إليَّ على أنني جوني.. وكم تمنيت أن يستمر ذلك إلى الأبد.. سئمت من الأشخاص الذين لا يرون فيَّ إلا النجم».

أحسَّت بالارتياح وقد أدركت أنه لم يلاحظ قلقها:

- أعتذر عن إساءتي الظن فيك!.

لم تكن واثقة ما إذا أحسَّ جوني بقلقها، ولكنه أسرع يقول لها بنبرة مازحة، محاولاً إضفاء شيء من البهجة على حديثهما:

- إنه تصرُّف خارج عن المألوف، مقارنة بمعاملة النساء لي... فكلما عدت إلى المزرعة، أعدتني إلى حجمي الطبيعي بكبسة زر.

- كفى يا جوني!.

صرخت ميغان ساخطة: «لا أحتاج إلى سحرك.. أفضل أن أعرف ما الذي تخفيه وراءه».

بحثت ميغان عن عينيه، إلا أنه أشاح بنظره بعيداً، يتأمل النجوم في

السماء، وهو يضغط على يدها تارة، ويرخيها طوراً، وكأنه لا يريد أن ينقل توترها إليها. وعلى الرغم من ذلك، أحسّت ميغان باضطرابه الشديد، والألم العميق الذي يسببه له ما يحاول إخفاءه عنها..

- حين قصدتم مبنى العمال، تحدثت مع لارا وكاثرين.. لم أكن أعرف ما الذي ارتكبه كل واحد منكم قبل أن يعهدوا إلى والدي مهمة الاعتناء بكم.. علمت كل شيء عن ماضي ريك وميتش.. إلا أنهما لم يخبراني شيئاً عنك يا جوني.

- ليس لديهما ما يقولانه لك.. فخلافاً لـ ريك وميتش، لم يكن لدي عائلة...

بدت ميغان مصرَّة على كشف الحقيقة:

- أظنك تحاول إخفاء ماضيك.. فحتى اليتيم له قصة.

- لم أعد أذكر شيئاً..

ورماها بنظرة باردة وتابع يقول:

- قيل لي إن والدتي قضت بسبب جرعة مفرطة من الهيروين... لم أكن يومها قد تجاوزت الثانية من عمري... فتولت إحدى العائلات تربيتي، بعد أن تعذَّر الكشف عن هوية والدي الطبيعي.

طفل في الثانية من عمره... تساءلت ميغان في سرّها كم من الوقت مضى قبل أن يعثروا عليه، بعد وفاة والدته...

- كان والدك بمثابة والد لي يا ميغان.

- ماذا عن والديك بالتبني يا جوني؟.

هزَّ برأسه من جديد: «لم يكونا مؤهلين للاعتناء بطفل... فهربت من المنزل في الثانية عشرة من عمري ولجأت إلى الشارع...».

صعقت ميغان... تحدث جوني هذا الصباح عن سوء المعاملة...

إلى أي حد أساؤوا معاملته؟ وما كان نوع هذه المعاملة السيئة؟.

أحسَّت بأنه لن يفشي لها بسرّه مكتفياً بذكر بعض الوقائع..

- ماذ عن تحصيلك العلمي؟.

- تعلمت على يد والدك.. وما علَّمني إياه كان أفضل بكثير من التعليم الأكاديمي.

عاد يتحدث عن والدها من جديد..

لم تكن تدرك كم كان يعني بالنسبة إلى صبي افتقد، في حياته، إلى الرعاية والاهتمام.. صبي تلونت حياته بالارتياب من الناس جميعاً..

- أين تعلمت العزف؟.

- علَّمني الأمور التقنية بعض العازفين في الفرق الموسيقية... ولكنني اتخذت من الموسيقى هدفاً لي، منذ نعومة أظافري، ولم أعد قادراً على التركيز على أمور أخرى..

كم سخرت من موسيقاه واعتبرتها تجارة ذكية!.

تبين لها، من خلال حديثه، أن أغانيه مرتبطة أيضاً بما علمه إياه والدها..

لعل حياته كلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدور الذي لعبه والدها معه...

- اشترى والدي غيتاراً لك.

- هذا صحيح.. ما زلت احتفظ به.. إنه الغيتار الذي أعزف عليه موسيقى ترانيم عيد الميلاد..

بدا جلياً أن كل شيء حصل عليه في هذا المكان يعني له الكثير الكثير.. ووالدها كان على علم بالأمر..

لمَ اختار جوني إيليس؟.

لأن جوني إيليس كان ابنه بالتبني أكثر من سواه؟.

هل كانت ميغان ابنته أكثر من جيسي وإميلي؟.

صحيح أن هذه الفكرة راقت لها كثيراً، إلاّ أنها لم تشك يوماً بالحب الكبير الذي كان يكنّه لكل واحدة بينهنّ..

عاشت ميغان طفولة سعيدة. وأمضت أوقات ممتعة في مراهقتها، على الرغم من اشتياقها الشديد إلى غوانداموا خلال إقامتها في المدرسة الداخلية...

وحده تعلّقها المرضي بـ جوني نغصّ عليها عيشها خلال السنوات اللاحقة..

الذنب ليس ذنبه.. أليس صحيحاً أنها تصرفت كفتاة مدلّلة حين تخلّف عن حضور حفل عيد ميلادها الواحد والعشرين، متخلفاً بالتالي عن لعب الدور الذي أسندت إليه، فأسندت إليه دوراً آخر لا يلائمه بتاتاً؟.

لا شك أن نظرتها إليه تغيّرت كلياً، فبدا أكثر جاذبية في عينيها...

- لم أعبر لك بعد عن مدى أسفي للفاجعة التي ألمّت بك!.

وشدت على يده وكأنها تؤكد له مدى صدقها، ثم أضافت:

- إنني آسفة حقاً!.

حوّل نظره إليها وقد ظهرت في عينيه ظلمة الليل الحالكة، الخالية من بريق النجوم: «هلا وقفت غداً إلى جانبي قرب الضريح؟ جمعنا باتريك معاً من خلال وصيته، وأتمنى أن نبقى جنباً إلى جنب...».

أحسّت برعشة تسري على طول عامودها الفقري، مشعلة في داخلها نيران الشوق إلى البقاء بقربه، دائماً.. أبداً...

تمنت ميغان في سرّها ألا يلاحظ توهج خدّيها وهي تقول له هامسة: «أجل!».

- شكراً لك!.

أحسّت بالجو مفعماً بشيءٍ من الإلفة... إلفة أعادت الأمل إلى قلبها وأحيت أحلامها...

نهض جوني من مكانه وساعدها على النهوض، فأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها وقد خيل إليها بأنه سيضمها بين ذراعيه...

كانت كل خلية من خلايا جسدها تتوسل إليه أن يفعل ذلك، آبية الإصغاء لتحذيرات عقلها!.

تناهى إلى مسمعها صوت أنفاسه المتقطعة ورأت صدره العريض يعلو ويتمدد... فرفعت عينيها نحوه لتجده يميل برأسه نحوها، فيما أخذت يداه تضغطان على ذراعيها...

كان جوني إيليس على وشك أن يعانقها... وعوضاً عن ذلك، سمعته يقول لها:

- لطالما اعتبرتك كأختي الصغرى يا ميغان!

كلا!.

تردد صدى صرخها الصامتة في أعماقها!.

- أرجو أن تعتبريني أخاً لك... يساندك..

لا.. لا.. لا..!.

- أظن أن والدك كان ليشعر بالرضى!.

أرادت أن تصرخ ثائرة بأن لا علاقة لوالدها بالأمر إطلاقاً!.

- عليك أن تخلدي إلى فراشك لترتاحي قليلاً!

ثم طبع قبلة على جبينها وأضاف: «عمت مساءً يا ميغان!».

وأفلت ذراعيها، وأسرع يجتاز المرج متوجهاً إلى جناح الضيوف الذي يضم غرفته.

شبكت ميغان أصابعها، وجاهدت نفسها حتى لا تلحق به وتمحو من ذهنه كل مشاعر الأخوّة. . غير أن كبرياءها سمّرتها في مكانها لبضع ثوانٍ قبل أن يملي عليها عقلها التوجه إلى غرفتها وإقفال الباب خلفها، والانتظار حتى الصباح.

ستثبت له في الغد أنها امرأة، ولن تحاول إخفاء أنوثتها خلف ملابس لا تليق إلا بالرجال. . .

أما شعرها. . .

عليه أن يراه في الغد!.

من المحال أن ترضى بأن يعاملها كأخته الصغرى.

٦ - بحر الشوق

أصيب جوني بالذهول لدى رؤيته ميغان في صباح اليوم التالي. . . فقد اختارت للجنازة بذلة نسائية سوداء، تبرز مفاتنها، وتجذب الانتباه إلى ساقيها النحيلتين وكاحليها الدقيقين، وحذائها الأسود ذي الكعبين العاليين. .

أما شعرها فكان مدهشاً بكل ما للكلمة من معنى. . .

لم يقدر جوني على إبعاد عينيه عنه خلال تناوله طعام الفطور. . إذ اعتاد على رؤيته مسرحاً على شكل ضفيرة أو مضموماً بإحكام خلف عنقها، وتعلوه قبعة كبيرة. . . ولا يذكر أنها صففته يوماً بهذه الطريقة. . فقد تركت خصلات شعرها الأحمر المتموج اللمّاع تتدلى بإغراء على كتفيها، لتشكّل مع بشرتها الشاحبة تناقضاً غنياً صارخاً مقارنة بملابسها الكئيبة. .

لِمَ يبدو وجهها مختلفاً أيضاً؟ أهو تأثير جمال شعرها الباهر أم لمسات الماكياج الخفيفة؟.

فقد رسم حاجباها بقلم داكن، وزيّن جفناها بظلال دخانية اللون، أظهرت شكل عينيها وحجمهما، مضيفة المزيد من الأنوثة الغامضة إلى صراحتها اللاذعة، فيما أبرز أحمر الشفاه الأحمر المائل إلى البني شفتيها المثيرتين. .

كان يعلم جيداً أن جمالها سيبدو أخّاذاً إن بذلت القليل من الجهد. . . غير أنه لم يكن مستعداً لهذا المنظر الفتّان. . .

لفت انتباهه عقد اللؤلؤ الذي زينت ميغان عنقها به. . عقد شبيه بالعقد

الذي اشتراه لها بمناسبة عيد ميلادها الواحد والعشرين . . .

كان جوني يدرك بأنه يليق بامرأة راشدة ويتلاءم جيداً مع ذكرى بلوغها سن الرشد . .

اشتراه يومها لها من بروميه، حيث أجود أنواع اللآلىء في العالم . . وأراد أن يقدمه لها بنفسه . . إلا أنه لم يستطع أن يترك ليزيل . . .

مضت سنوات طويلة على تلك الحادثة، ونسي جوني أمر اللآلىء كلياً . .

وبعد موت ليزيل، وخسارة موهبتها الواعدة . . ها هو اليوم يفجع بموت باتريك . . عليه أن يفكر بالرجل وليس بابنته . .

حاول جوني أن يركّز اهتمامه على تقديم الاحترام الأخير لـ باتريك ماغواير . . . وعلى الرغم من ذلك، بقي ذهنه مشتتاً خلال مراسم الدفن . . إذ كلما مالت ميغان الجالسة بقربه برأسها ماجت خصلات شعرها الأحمر، وفاحت منه رائحة شبيهة برائحة الليمون الحامض، اللاذعة والمنعشة في آن معاً . . .

وقفت ميغان إلى جانبه فيما كان جثمان باتريك يدفن إلى جوار جثمان زوجته الحبيبة، فبدت أطول قامة بحذائها ذي الكعبين العاليين، وقد لامس أعلى رأسها ذقنه . .

كم كان باتريك ليفتخر بها لو رآها اليوم واقفة معتزة بنفسها! .

عند عودتهم إلى المنزل، راحت عينا جوني تلاحقانها من مكان إلى آخر، وهي ترحب بالضيوف الذين جاؤوا للمشاركة في وداع باتريك، وتصغي باهتمام إلى كلامهم وتقدم لهم الطعام والشراب.

لم يستطع جوني التعرف على الحاضرين جميعاً . ولكن ميغان كانت تعرف كل واحد فيهم وتدرك صلته بوالدها تمام الإدراك . .

هذه هي حياتها، في حين أنه مجرد زائر في غواندمورا . . .

كان سكّان المزرعة يعرفونه ويستمتعون برفقته والتحدث معه . . ولكن ذلك وحده لا يكفي . . . عليه أن يبقى إلى جانب ميغان ويشاركها مسؤولية الضيافة، ويألف كل ما تألفه . . . فالإحساس بأنه مجرد دخيل - أو نجم بوب - أثار غيظه، خاصة حين رأى شباناً من المزارع المجاورة يحومون حولها، محاولين الاستحواذ على انتباهها . . .

شبّان فتنهم شكلها الخارجي المختلف . . . شبّان تهافتوا ليحظوا بابتسامة ودودة منها . . .

أيعقل أن يفقد جوني سحره؟ . وشعر برغبة غريبة في التملّك تسيطر عليه وتدفعه إلى الانضمام إلى الحلقات الصغيرة التي كانت تجمعها بأولئك الشبان، وكأنه يريد أن يشعر الجميع بحضوره القوي. غير أن الأمر لم يجدِ نفعاً إذ أخذوا يحدّقون فيه بفضول، من دون أن يجدوا فيه شيئاً يهدد مصالحهم.

حاول جوني أن يتمالك نفسه، حتى لا يعلن أمام الملأ بأنه بات يملك نصف غونداموراً، التي سينقذها من الإفلاس، لافتاً انتباههم إلى أن ابنة باتريك ليست العروس الثرية التي يحلمون بها . . ولكن، هل من طائلة تُرجى من القيام بخطوة مماثلة؟ فشكلها الخارجي كان يلفت اليوم الانتباه إليها بما فيه الكفاية . . .

لا شك أن جوني كان قليل التهذيب بعض الشيء، حين دفع شاباً كان يحاول الدنو منها، إذ نظرت ميغان إليه ساخطة وقالت له بحزم:

- لا أحتاج إلى أخ كبير يراقب تحركاتي يا جوني.

المشاعر التي خالجته في تلك اللحظة كانت بعيدة كل البعد عن المشاعر الأخوية . . فإذا به يجيبها بحدة:

- يبدو أنك لا تعاملين كل الرجال بفظاظة! .

اتسعت عينا ميغان . . فأدرك جوني أن نبرة صوته فضحت إحساسه بالغيرة . .

كان يشعر بالغيرة حقاً . . وتمنى في سرّه لو أنه أطلق ليلة أمس العنان لأهوائه، وعانقها بجنون، حتى لا تعير أحداً سواه اهتمامها . .

أراد أن يمسك بذراعها ويحملها بعيداً عن الأعين الفضولية، ويقنعها بأنه الرجل المناسب لها . .

ولكن هل هو الرجل المناسب لها فعلاً؟ وما تأثير هذه الخطوة على علاقة العمل التي تربط بينهما، لا سيما إن لم يرق لها الأمر؟ .

- كنت أحاول أن ألعب دور المضيفة اللبقة كما اعتادت والدتي أن تفعل ! .

قالت له ذلك وقد رفعت ذقنها بتحدي .

- حسناً سأدعك تهتمين بضيوفك ! .

لم يحاول أن يلح عليها، مذكراً نفسه بأن جميع الحاضرين أتوا اليوم من أجل باتريك . . .

غير أن نيران الإحباط بقيت تتأجج في داخله طوال الوقت . . ولم تخفف من جيشانها إلا بعض النظرات الخاطفة التي كانت ميغان ترميه بها، بين الفينة والفينة . .

إنها تجيد إثارة غضبه ! . وعليه أن يعاملها بالمثل ! .

شعر جوني بالارتياح بعد مغادرة الضيوف، وشغل نفسه بتنظيف المكان، وتبادل الأحاديث مع إيفلين في المطبخ . . وقد استعاد إحساسه بالانتماء إلى هذا المكان . .

لم يشأ أفراد العائلة المشاركة في عشاء رسمي، في تلك الليلة، وفضلوا أن يتناولوا بقايا الطعام خلال استرخائهم في غرفة الجلوس، بعد أن استعاد المنزل طبيعته . .

أجمع الكل على أن الجنازة كانت تليق بمكانة رجل مثل باتريك ماغواير . . رجل سيفتقده الجميع . . ولم يمضِ وقت طويل حتى بلغ الإرهاق من الحاضرين

ميلغاً، فأخذوا يتسللون إلى غرفهم، الواحد تلو الآخر، إلى أن بقي جوني وميغان بمفردهما . .

كان جوني جالساً بتكاسل في كرسي ذي ذراعين، فيما استلقت ميغان على الكنبة مسندة مرفقها إلى ذراعها، ورافعة قدميها، بعد أن خلعت حذاءها ذي الكعبين العاليين . . .

ووجد جوني نفسه يتأملها بإمعان . .

كان يتوقع أن تغادر ميغان الغرفة، آبية، كالعادة، أن تبقى بمفردها معه . .

ركّز جوني نظره على قدميها يراقب تحركاتها . . فإذا بها تلوي أصابع قدميها . .

سألها وهو يتأمل حذاءها الطويل . .

- هل تشعرين بتشنج في قدميك؟ .

- لست معتادة على انتعال أحذية حديثة الطراز ! .

- أتريدينني أن أدلكهما؟ .

- هل هذا السؤال نابع من إحساسك الأخوي تجاهي؟ .

رفع جوني عينيه، لدى سماعه نبرتها الساخرة، فوجد أمامه عينين ملؤهما التحدي الغاضب . .

لم تعد ميغان قادرة على كبح سخطها :

- لست أختك الصغرى ولا أحتاج إليك لتعتني بي .

قالت ذلك احتجاجاً على طريقة معاملته لها . . فليلة البارحة أمسك بيدها وطبع قبلة على جبينها، كإنها طفلة صغيرة . .

منذ ساعات الصباح الأولى، وهو يلازمها وكأنه يخشى أن تترنح، فيسرع للإمساك بها، حاشراً أنفه في ما لا يعنيه، كلما خطر له أنها عاجزة عن صد أي

محاولة غير مرغوب بها لمواساتها . .

استقام في مجلسه مقطباً جبينه إزاء ردة فعلها : «كان مجرد اقتراح ودّي!».

ودّي! أيعقل أن يجلس عند الطرف الآخر من الكنبة ويدللها ويمسد أصابع قدميها . . ؟

من المؤكد أنها ستفقد صوابها! .

أنزلت رجليها عن الكنبة وهبت واقفة وهي تنظر إليه بعجرفة وعدوانية . .

- إنني بخير . . وأظنك لاحظت أنني لم أعد فتاة صغيرة يا جوني.

ابتسم جوني بازدراء وأجابها قائلاً : «من الصعب ألا يلاحظ المرء ذلك».

- حسناً . . قل لي ما الذي لم يرق لك.

- لم يرق لي؟.

- لم أسمع منك أي تعليق إيجابي.

رفعت يدها تبعد خصلات شعرها عن وجهها بنفاد صبر . . قضت ساعات طويلة تغسل شعرها وتجففه ليبدو كتاً وأنثوياً . .

- ألا أبدو جميلة كفاية في نظرك؟.

- لست جميلة كفاية؟! .

ردد جوني تلك الكلمات وهو يهز برأسه بارتباك . .

صحيح أن كلماتها لا تدل على أنها أخته الصغرى، إلا أن امتناعه عن التعليق على الخطوة العملاقة التي قامت بها لتغير نظرته إليها، أثارت سخطها . . فصرّت على أسنانها مصممة على نسيان كل محاولة سخيفة قامت بها لإحداث تغير ما . .

قالت له ساخرة : «أظن أنني أصبحت راشدة كفاية هذا المساء . . ما رأيك لو تخلد إلى فراشك وتدعني أغرق في أحزاني . . ».

نهض فجأة من مكانه وأمسك بذراعها فيما كانت تمر أمامه :

- ماذا تقصدين بقولك إنك «لست جميلة كفاية»؟

كانت تلك الكلمات تسد حلقه وتكاد تخنقه . . فراحت عيناه تحدقان بها بإمعان وكأنهما تريدان الوصول إلى أعماق روحها . .

دفعت هذه الحدة المنبعثة منه ميغان إلى المضي قدماً في تحديه :

- لم تلاحظ أنني وضعت عقد اللؤلؤ الذي قدمته لي بمناسبة عيد ميلادي الواحد والعشرين.

قالت له ذلك بنبرة باردة : «وكيف لك أن تلاحظه؟ أظنك طلبت من أحداهنّ أن تشتري لك هدية ملائمة لترسلها لي».

- رأيت العقد.

كان رده حازماً . . .

- اخترته بنفسي . . وسررت لرؤيتك تضعينه . .

لم تتفوه بكلمة . .

- ماذا تريدينني أن أقول لك؟ أأقول لك إنك تبدين رائعة ولا أقوى على إبعاد عينيّ عنك، وأتمنى ألا يراك أحد سواي . . ؟ .

أحسّت بنشوة الانتظار تغمرها . . لقد نجحت في التأثير عليه كرجل . . وتمكنت من إشعال فتيل الغيرة في قلب جوني إيليس من الشبان الذين لم يخفوا إعجابهم بها . .

إنه يرى فيها امرأة قادرة على لفت انتباه الرجال إليها . . إنها خطوة عملاقة . . فإلى أين ستؤدي بها إن لم يكن مستعداً لها؟ .

قالت له ساخرة : «أتظنني أحتاج لحمايتك؟».

- لم يخطر ذلك على بالي . . .

www.elromancia.com

قصف التوكيد البادي في صوته كالرعد في أذنيها وقلبها . . فاقترب منها ورفع يده التي كانت تمسك بذراعها ليمرر أصابعه بين خصلات شعرها ويشد رأسها إلى الخلف فتتقابل نظراتهما . .

كان جوني إيليس يريدها . . .

عانقها عناق الحبيب الذي طال شوقه فتسارع نبضها ولاحق إيقاع تنفسها إيقاع تنفسه . .

لم تكن تريده أن يتوقف أو يبعدها عنه ، ليعيد التفكير في ما يحصل ، فتنطلق صفارة الخطر في رأسه . . .

بقيت ممسكة به وأصابعها تعبث بشعره ، ويداها تشدانه إليه .

- ميغان . .

حمل صوته الأجش شوقاً جامحاً ألهب مشاعرها .

- ميغان ! .

ردد اسمها بإلحاح ! .

- ليتك تعرفين ما تفعلينه بي ! ما هذا التأثير الذي تتركينه فيّ ! ولكن عليّ الرحيل في الصباح ! فهل تعلمين ذلك ؟

قالت بصوت كئيب : «نعم أعلم» .

تمتم : «ولكن قلبي لا يريد الرحيل أبداً» .

كم حلمت بجوني إيليس يردد على مسامعها كلمات رقيقة كهذه . . سنوات طويلة وهذه الأحلام لا تفارق خيالها ! . وها هي الآن على ترى في عينيه الشوق إليها وتسمع في صوته مشاعر الرغبة ولكنها تتمنى في قرارة نفسها لو أنه صارحها أيضاً بحبه . .

المشكلة أن دفاعات قلبها تجاه جوني هشة ومتضعضعة ولكنها في هذه اللحظات التي يضمها إليه بهذا الشوق لا تأبه بشيء .

المهم هو أن جوني إيليس يعانقها .

كان ذهن جوني في حالة من الاضطراب الكلي ولكن مشاعره قوية ، وشوقه إليها حاجة يائسة تتأجج في أعماقه .

لفح هواء الليل البارد وجهه فأيقظه من النشوة التي أسكرته وجعلته لا يعي حقيقة ما يفعله . . . حقيقة تودده إلى ابنه باتريك . . .

لكن ميغان لا تبدو ممانعة . .

إنها فتاة راشدة لها مشاعرها . . مما يعني أنه أخطأ في تقديره لطريقة تعاملها مع الرجال . . إذ تبين له أنها احتفظت بفظاظتها له وحده ، دون الرجال أجمع . .

ولكن لمَ تسمح له الآن بعناقها ؟ . أترى كلماته جرحت كبرياءها ؟ . أم أنها تريد أن تتخلص من حزنها على والدها ؟

كانت اللهفة تتأجج في أعماقه . . ولكن عليه أن يرعى هذه الفتاة . . .

أمسك بوجهها بين يديه مرغماً إياها على النظر في عينيه :

- لماذا تسمحين لي الآن بضمك فيما كنت في الماضي تحاربيني بضراوة ؟

كانت عيناه الثاقبتان تخوضان بحر أسرارها بحثاً عن أجوبة ترضيه :

- لماذا ؟ .

ومض شرر الغضب في عينيها :

- هل أنت خائف يا جوني ؟ أتريد أن تعيدني إلى صورة الأخت الصغرى ؟

صرخ في وجهها قائلاً : «كلا . . لا أريد ذلك !» .

تحوّل الشرر في عينيها إلى بريق تحدٍ : «لا تعاملني كطفلة مغفلة . .» .

كيف تقول ذلك ؟ إن ما يشعر به تجاهها يعيد كل البعد عن مشاعر الأخوة . إنه يريدها بكل جوارحه ولكن عليه أن يحميها حتى من نفسه ، هذا ما يمليه عليه

الواجب.

تسللت يداه على طول عنقها الطويل، فوق بشرتها الحريرية الناعمة..

غير أن زحف أصابعه توقف عند عقد اللؤلؤ المتدلي عند رقبتها..

إنها لآلئه.. وهذه اللآلىء هي الصلة الوحيدة بينهما ولها معنى خاص جداً.

رفع العقد قليلاً، وتحسس اللآلىء بأصابعه، مدركاً تماماً أن لمعانها يتضاعف كلما لامست بشرتها..

- لمَ وضعت اليوم العقد؟.

بقيت نظرات التحدي تومض في عينيها: «ولمَ لا؟ أظنك اشتريته لي لأتزين به... ووجدت أنه يليق ببذتي السوداء..».

صحيح أنها أنكرت وجود أي دلالة شخصية له، إلا أنه شعر غريزياً بوجودها.. حتى وإن كان مجرد سلاح للنيل منه..

أليس صحيحاً أنها تركت شعرها منسدلاً، وغيرت شكلها الخارجي، ووضعت العقد بتباهٍ، لتشن عليه معركة عاطفية؟.

- أنظري إليّ!.

رفعت عينيها نحوه، فبدا الارتباك واضحاً فيهما..

- أريدك أن تنظري لأستطيع أن أقرأ ما وراء هاتين العينين.

قال لها ذلك برقة بالغة. ولكنها هي من تريد قراءة ما وراء هذا القناع الساحر.

لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً، منذ أن بدأت مشاعر الأنثى تتحرك بين جنبيها.

- أنا أريدك ببأس!

أدركت أنها اتخذت فجأة موقفاً دفاعياً، فرسمت ابتسامة كئيبة على ثغرها:

- آسفة يا جوني! ولكنك نسيت شيئاً هاماً.

- ماذا نسيت؟

- نسيت أنك سترحل في الغد.. وعلي أن لا أدعك تفعل..

- أتعتقدين أنه من الأفضل لك أن تعيديني إلى الإطار الذي وضعتني فيه على مدى سنوات طويلة؟.

ابتسمت له ابتسامة عريضة: «قضيت معظم أيام حياتك ضمن ذلك الإطار... ولا أظن أن رغبتي بتغيير ذلك قد تجدي نفعاً!».

فاجأها بسؤال جوهري: «هل ترغبين بذلك فعلاً؟».

أخفضت ميغان رموشها. فأخذت نفساً عميقاً وقالت هازئة:

- لنكن واقعيين يا جوني.. أنت راحل غداً.. والله وحده يعلم ما إذا كنت ستعود ثانية..

أجابها بثقة مطلقة: «سأعود فور انتهاء الفيلم!».

- آه!.

حمل تأوهها في طياته نوعاً من الإنكار.. لمَ لا تصدق كلامه؟.

لم يكذب عليها يوماً أو يقطع لها وعوداً خيالية.. غير أنه لن يجد سبيلاً لإقناعها بأنه سيعود فعلاً، إلا حين يفعل ذلك!.

كانت ميغان ترسم دوائر على قميصه براحة يدها، وكانت تشعر بدوي خفقات قلبه تتجاوب مع لمساتها.

مرر يده بين خصلات شعرها الحريرية وأخذ يلفها حول أصابعها، متمنياً في سرّه لو أنه يستطيع أن يقيد ميغان به بهذه السهولة!.

وحده الوقت كفيل بأن يفعل ذلك وعليه أن يتحلى بالصبر.

أحس بطائر السلام يعشعش في الصمت المخيم عليهما، على الرغم من كثرة الأسئلة التي ينبغي الإجابة عليها..

هل تنبأ باتريك بأنه ستولد مشاعر عارمة بينهما؟. هل كتب وصيته بعد أن راوده حلم زواجهما؟.

ألا يقال إن منزل المرء هو حيث قلبه؟.

لكن ميغان لا تصدق بأن حبه للحياة في غوندامورا راسخ في قلبه!.

عليه أن يثبت لها ذلك!.

أخذت نفساً عميقاً ثم سألته بنبرة هادئة: «إن كنت قد ابتعت هذه اللآلىء بنفسك، فلمَ لم تحضر حفل عيد ميلادي لتقدمها لي بنفسك؟».

فطبع قبلة على جبينها وأجابها قائلاً:

- كنت أنوي ذلك يا ميغان وحجزت تذكرة السفر.. ولكنني علمت أن صديقة لي أدخلت إلى المستشفى بعد أن تناولت جرعة مفرطة من الهيروين.. فارتأيت أن أبقى إلى جانبها وأحاول أن أعيد حب الحياة إلى قلبها..

- صديقة؟.

- لست أدري ما إذا كان اسمها يعني لك شيئاً.. ليزيل فوريز..

- كلا.. لم أسمع به من قبل!.

- اشتهرت ليزيل بأغانيها العاطفية.. كانت تتميز بصوتها الجهوري المثير للمشاعر.. إنها موهبة عظيمة.. لكنها أدمنت المخدرات وتركتها تستحوذ عليها... ولم أقدر على انتشالها...

- كنت تهتم لأمرها!.

لم يجب جوني على الفور وقد أخذ شريط الذكريات يمر في ذهنه..

من الصعب شرح الأمر لشخص لم يسمع يوماً عن سجون الزمن المظلمة

التي يهرع إليها المرء هرباً من سوء المعاملة..

وحدهما ريك وميتش يستطيعان فهمه.. ولكن ميغان؟.. لم يشأ أن يدخلها إلى تلك الأماكن.. خاصة في هذه اللحظات الهادئة..

- كنت أتمنى لو حظيت أمي بشخص يعتني بها.

أخذت نفساً عميقاً من جديد:

- آسفة يا جوني.. أظن أن ليزيل لقيت حتفها أيضاً..

- لم تأبه لما بذلته من أجلها.. فحب الحياة مات في قلبها...

- ولكنها شعرت باهتمامك بها.. وهذا كافٍ..

في الحقيقة، كانت حياة ليزيل أهم بالنسبة إليه من عيد ميلاد ميغان.. فالمعاملة السيئة التي عانى منها خلال طفولته، حرك فيه مشاعر العطف، فراح يبذل جهده لطرد الأفكار السلبية من ذهنها، وتسليحها بالأسلحة التي زوده باتريك بها.. إلا أن مهمته باءت بالفشل.. ولم يتمكن من تخطي إحساسه بالفشل إلا بعد مرور فترة طويلة... ولما عاد إلى المنزل من جديد، كانت ميغان قد التحقت بكلية الزراعة...

ومذّاك الحين، بدأت تصد محاولاته الخجولة للتقرب منها وتعامله ببرود...

- آسف لأنني خيبت ظنك.. ولكن ذلك لا يعني أنني لم أكن أبالي..

- كنت تهتم بشؤونك الخاصة.

قاطعته بنبرة مفعمة بالإذعان الساخر:

- هذه هي الحقيقة.. فلكل واحد منا حياته..

ماذا؟ ألا يعني لها شيئاً هذا الهدوء الذي يعمّ قلبيهما بعد طول عراك؟

إنها مجرد بداية.. وعليه أن يستغل كل دقيقة متاحة أمامه ليضمّها بين ذراعيه.

٧ - على مسرح الحياة

يا للغرابة! لمَ كانت ميغان تشعر بالهدوء المطلق في الصباح التالي رغم أن جوني راحل اليوم؟

إنه فصل جديد يضاف إلى فصول حياتهما . . فصل هدنة ربما لأنه سيغادر المزرعة في اليوم عينه .

بدا جلياً أن الثورة العاصفة التي أثارتها وصية والدها بدأت تخمد . . فتناست استخفافها الجائر بمهنته على مدى سنوات طويلة، مستسلمة لمشاعر التقدير الشديد لشخص جوني ودوافعه . .

كانت تتوق إليه . . ولكنها مرغمة على تركه يرحل من دون أن تقيده بقيود المسؤولية تجاهها .

إنه إنسان كريم ومعطاء . . وحان الوقت لتبادله بالمثل . . . فهي لن تفرض نفسها عليه أو تحاول أن تكبّله بسلاسل الواجب . . . بل ستدعه يذهب ليفعل ما يمليه عليه عقله .

أعادت ميغان عقد اللؤلؤ إلى علبة المجوهرات، ثم اغتسلت وارتدت قميصها وسروال الجينز، وهي تدرك أنه لا حاجة بعد اليوم للعدائية أو الاستفزاز . . فالماضي ولّى وعليها أن تخطو، منذ هذه اللحظة، الخطوة الأولى نحو مرحلة جديدة من حياتها . . .

لن تجد والدها إلى جانبها بعد اليوم . . وسيرحل جوني هذا الصباح ومعه ميتش وريك وزوجتيهما، وشقيقتيها وزوجيهما . .

سيتركها الجميع لوحدها في غوندامورا، آملين أن تديرها على أحسن وجه بفضل مساعدته . كانت الرسالة واضحة وصريحة . . . سيبقى ميتش دوماً إلى جانبها، كما وقف والدها إلى جانبه . .

لم يكن الوضع مختلفاً بالنسبة إلى ريك، على الرغم من أن قلقه كان يقتصر على الأمور الشخصية . . . فقد جلس قربها على المائدة وراح يتحدث معها بصوت منخفض:

- اسمعي يا ميغان . . . إن حاول جوني أن يتخطى حدوده ويتعدى على حقوقك، لا تترددي بالاتصال بي لأتحدث معه . . صحيح أنني لا أشك أبداً في حسن نواياه، ولكن باتريك جعلك الآمرة الناهية هنا، ويجب أن يبقى الوضع على ما هو عليه . . فكلما شعرت بحاجة إلى شخص يلعب دور الوسيط بينكما، ما عليك سوى أن تتصلي بي . . وكوني على ثقة من أن جوني لن يرفض لي طلباً . . اتصلي بي لأعالج الوضع . . اتفقنا؟ .

كان الثلاثة - أبناء والدها الثلاثة - مصممين على تقديم كل الدعم اللازم لها . . . صحيح أنه لا تربطهم صلة دم إلا أن مشاعر الأخوة تجمع بينهم . . مشاعر تضاهي، لجهة التفاهم، تلك التي تخالج الأخوة الحقيقيين . . .

إنه الإرث الآخر الذي تركه له والدها إلى جانب غوندامورا . . ثلاثة أخوة . . . مع إنها لم تنظر يوماً إلى جوني من منظار الأخ . . .

هل كان والدها على علم بالأمر؟ هل كتب تلك الوصية ليرغمها على التعامل معه لتستشف حقيقة مشاعرها نحوه؟ .

كان يعرف جوني أكثر منها . . . لعله أرادها أن تكتشف حقيقة جوني . . . حقيقة الإنسان الكامن خلف الصورة . . .

اختار جوني أن يجلس قبالتها على المائدة، ولاحظت أن عينيه لا تفارقانها أبداً وقد بدا القلق فيهما .

- أود التحدث معك على انفراد يا ميغان .

- طبعاً يا جوني!.

ورسمت على ثغرها ابتسامة عريضة لتثبت للجميع عمق الصداقة التي توطدت بينهما بعد أن تخلّت عن طبعها المشاكس.

- ما رأيك لو نذهب إلى مهبط الطائرات مشياً على الأقدام؟ يستطيع ميتش أن يسبقنا في سيارة الرانج روفر، حاملاً الحقائب والآخرين... يمكنني أن أودع الجميع هناك، وأعود بعدها إلى المنزل في السيارة.

إنها لحظات صعبة مشوبة بالتوتر، فجاذبيته لا تقاوم وذكرى عناقه ما تزال حية في قلبها..

تنبهت إلى أن عينيه تبحثان عن عينيها وكأنه يريد الاحتجاج على اقتراحها، مفضلاً أن ينفرد بها لبعض الوقت قبل رحيله... إلا أنه ما لبث أن أومأ برأسه مذعناً لرغبتها... فوجودهما معاً في الهواء الطلق، وسط الأرض القاحلة التي تعاني من الجفاف، يحيي في ذهنهما السبب الأساسي وراء شراكتهما - إنقاذ غونداموا - مخفضاً بالتالي من حدة الأجواء المشحونة..

لحسن الحظ أن إيفلين دخلت إلى غرفة الطعام، في تلك اللحظة، وراحت تحيط جوني برعايتها، كالعادة، ملّحة عليه ليتناول كمية وافية من اللحم المقدد المحمص المفضل لديه.

إنها المرة الأولى التي لا تبدي فيها ميغان انزعاجها من تدليل مدبرة المنزل له..

كم شخصاً حاول الإعتناء بـ جوني إيليس من دون أن ينتظر منه شيئاً في المقابل، إلا بهجة إرضائه؟.

كان يفتقر طوال حياته إلى والدين يحيطانه بحبهما.. والحق يقال إن إعتناء إيفلين به يعزّز إحساسه بالانتماء إلى غونداموا...

كانت ميغان تتمنى عودته إلى هنا.. قال لها إنه سيفعل!. غير أنها خشيت

أن تجعله مشاعرها تجاهه يعيد النظر في الأمر.. فإن خطر له أنها تريد ارتباطاً أبدياً.. أليست تلك رغبتها الحقيقية؟.

لكن ماذا عنه هو؟. عليها أن تترك له حرية الاختيار!.

اعتصر الألم فؤادها لمجرد تفكيرها بأن إحساسه بالمسؤولية تجاهها، لا سيما على الصعيد العملي، قد يعكر عليه صفو حياته!.

كانت أفكارها لا تزال مشتتة حين دقت ساعة الرحيل... فانضمت إميلي وميتش وزوجاهما إليها، في الشرفة الأمامية، ليودعوا الآخرين، على أن يغادروا المزرعة بعد الغداء...

وبعد تبادل العناق والقبل، انطلقت سيارة الرانج روفر باتجاه مهبط الطائرات، حيث تنتظرهم طائرة جوني الخاصة لتقلهم إلى سيوني..

انتظرت ميغان قليلاً لتهدأ عاصفة الغبار التي أثارتها عجلات السيارة خلفها، ثم أومأت برأسها لـ جوني، الذي بدا عليه الاسترخاء وهو يتبادل أطراف الحديث مع شقيقتها: «علينا أن ننصرف!».

صافح الرجلين وطبع قبلة على خديّ زوجتيهما، ثم أمسك بيد ميغان ونزل برفقتها السلم، وأصابعهما مشبوكة..

لم تحاول ميغان إبعاد يدها، وقد سُرها أن تشعر بلمسته من جديد...

عليها أن تحافظ على كياستها واعتدادها بنفسها متجاهلة توقها الشديد إلى عناقه.. فالعقد الذي وقعه يلزمه بإنجاز الفيلم... ولا جدوى من الإلحاح عليه للبقاء هنا..

قال لها بنبرة مشوبة بالحذر:

- ستستخدمين المال الذي أخذته مني، أليس كذلك يا ميغان؟.

لمَ تساوره الشكوك؟ ألأنه بات يعلم بمشاعرها تجاهه؟ أم يظن أن كبرياءها ستمنعها من مد يدها إلى ماله؟.

أجابته مطمئنة: «نعم يا جوني.. سأفعل.. فغونداموا بحاجة إليه!».

- أحسنت!.

بدت إمارات الإرتياح على وجهه.. كان يهتم لأمر غونداموا.. إنه القاسم الوحيد المشترك بينهما..

ولكن أتراه سيعود يوماً إليها؟.

قطعا مسافة طويلة قبل أن تتمكن ميغان من لملمة شتات شجاعتها لتقول له: «لا أريدك أن تشعر بالسوء يا جوني.. فلا شيء يدعو للقلق..».

- لا شيء يدعو للقلق؟.

- أردت القول إنني سأتولى الأمر.. أنت مسافر... ولا أريد إثارة قلقك فحسب.

- وانتهى المشوار!.

- ربما هذا رهن بك!.

كم كرهت محاولاته الحثيثة لإسدال الستارة، في حين أنها كانت متلهّفة للحفاظ على اهتمامه بها لأطول مدة ممكنة..!.

شعرت فجأة بأصابعه تضغط بشدة على أصابعها وتكاد تحطمها.. إلا أنه ما لبث أن تنبه إلى الأمر وأرخى قبضته:

- هل ستبعثين إليّ رسائل عبر البريد الإلكتروني؟ أريد تقارير مفصلة عن سير الأعمال في غونداموا.. أريد أن أعرف كل شيء يا ميغان!.

إن كان يحاول أن يجس نبضها ليعرف حقيقة شعورها تجاهه، فلن تتوانى عن الاستجابة لطلبه: «طبعاً!».

وضغط من جديد على يدها ولكن ليس بقوة، كما في المرة السابقة...

اجتاحت ميغان موجة من الفرح العظيم، جعلتها تشعر بالدوار.. كان

جوني يدعوها للبقاء على اتصال دائم به.. هذا إذا تسنى له أن يرد على رسائلها.. لا يمكنها الاعتماد على ذلك!. فمع عودته إلى عالم الفن والشهرة سينغمس حتماً في أعماله..

لكن أتراه سينساها بهذه السهولة؟. وماذا لو صادف امرأة أعجبته؟

أحسّت بنيران الغيرة تتقد في أحشائها..

كانت سيارة الرانج روفر مركونة على مقربة منهما وطائرة جوني الخاصة خلفها، مستعدة للإقلاع.. فقال لها:

- من المفترض أن ننجز تصوير الفيلم في غضون ثلاثة أشهر، إن لم تعترضنا أي مشاكل.. هل من مانع لديك إن عدت بعدها إلى غونداموا؟.

- كلا.

وغمرتها البهجة وقد أدركت أنه يرغب بالعودة:

- ستبقى أبواب غونداموا مفتوحة أمامك دوماً!.

قالت له ذلك بحرارة بالغة من دون أن تنسى معاملتها القاسية له خلال السنوات الماضية...

تسمر جوني في مكانه، فاستدارت ميغان نحوه يجذبها التوتر القوي المنبعث منه، ورفعت عينيها إليه، ترميه بنظرة خاطفة... وإذا به يقف على مقربة منها يسوّي القبعة الكبيرة التي اعتادت على اعتمارها خارج المنزل، لتقيها من الشمس الحارقة...

كانت عيناه الخضراوان ثاقبتين تحاول سبر أغوار قلبها..

- هل أنت جادة في كلامك يا ميغان؟

تقابلت نظراتهما فأبت أن تشيح بنظرها بعيداً، وقد بدت في عينيها علامات التصميم العنيد:

- أجل يا جوني... وأعتذر عن تصرفاتي الفظة معك...

افتر ثغرها عن ابتسامة مثيرة وهي تتابع كلامها قائلة:

- كان والدي يعرف جيداً ما يفعله!.

استرخت قسمات وجهه فبادلها ابتسامتها بابتسامة غريبة قائلاً:

- باتريك.. أجل.. أظن ذلك..

كانت نبرة صوته مفعمة بمشاعر جيّاشة حركت مشاعرها على الفور... فأحسّت بغصة في حلقها وترقرقت الدموع في عينيها.. وأسرعت تقول له متلعثمة حتى لا تفسد لحظات الوداع:

- أرجو أن يحقق الفيلم نجاحاً باهراً!.

لم تفارق الابتسامة ثغره وهو يجيبها: «المهم هو فيلم حياتي».

لم تفهم قصده وبدا الارتباك الشديد عليها فاستشهد بقول لشكسبير:

«إن العالم عبارة عن خشبة مسرح.

يؤدي الرجال والنساء أدوارهم عليها.

فيتقنونها حيناً ويغادرونها أحياناً أخرى.

ويلعب رجل واحد أدواراً عدة».

وأضاف بعدها: «لست أميّاً يا ميغان!».

- اكتسبت معارفك من مدرسة الحياة يا جوني!.

جاء ردها السريع بمثابة تأكيد على سوء حكمها عليه.

هزّ جوني برأسه وكأن نجاحاته كلها لا تمت إلى الموضوع بصلة:

- ليتني أستطيع إلغاء هذه الرحلة حتى لا أدعك وحدك غارقة في إدارة المزرعة.

حملت نبرة صوته حدة ملحة، فيما أمسكت يده بيدها تشُد عليها وكأنها تحاول أن تبعث فيها القدرة على الاقتناع.

- عديني بأن تتصلي بي إن واجهتك أي مشكلة عسيرة!.

وهل سيسرع لإنقاذها؟.

لا شك أنه سيفعل ذلك من أجل غونداموروا... ولكن من أجلها..؟.

- حسناً.. ولكنها خشبة مسرحي يا جوني!.

أحسّت بنفسها مرغمة على تذكيره بالأمر: «وأجيد تأدية دوري عليها... ولا أريد أن تسند إليّ أدوار أخرى.. فهذا ما أنا عليه».

طأطأ رأسه.. وأخفض رموشه حتى لا ترى تعابير عينيه... ثم أخذ نفساً عميقاً ليستجمع قواه استعداداً لما يريد قوله..

كانت حواسها كلها في حالة من التأهب تتوق لمعرفة ما يجول في ذهنه..

غير أن كلماته اقتصرت على الوداع: «إلى اللقاء في القريب العاجل!».

وأحنى رأسه ليطبع قبلة على خدها ثم عاد واستقام في وقفته مبتسماً لها ابتسامة جمع فيها سحره كله..

- أحب شعرك حين تتركينه منسدلاً على كتفيك.. يقال إن شعر المرأة هو تاجها وموضع اعتزازها.. وشعرك يفوق كل ما فيك جمالاً!.

وأفلت يدها وأسرع يدخل من باب الطائرة الذي فتح من أجله..

هل كان خدها أفضل من جبينها؟. لعل قبعتها حجبت جبينها فلم يتمكن من الوصول إليه..

وعاد صدى كلماته يتردد في رأسها.. «إلى اللقاء في القريب العاجل»..

أقفل باب الطائرة.. فوقفت ميغان تنتظر خروج جوني من حياتها، وهي تصغي إلى هدير محركات الطائرة، وتتأمل دوران عجلاتها، الذي ما لبث أن تسارع لتحلّق بعدها الطائرة في السماء..

بقيت عيناها تلاحقانها إلى أن تحولت إلى بقعة صغيرة في السماء..

وأدركت حينها أنها كانت تلف خصلات شعرها حول أصابعها . . شعرها الذي تركته منسدلاً هذا الصباح، ليبين أنوثتها . .

قال لها إنه يفوق كل ما فيها جمالاً!.

أرادت ميغان أن تصدق بأن ابتسامته الأخيرة الساحرة كانت خير دليل على أنه يرى فيها امرأة مميزة . . امرأة لا مثيل لها . .

ما عليها سوى أن تنتظر دخوله ثانية إلى حياتها لتعرف الحقيقة .

٨ - ما نفع الحب؟

رغم ترحيب ميغان بعودته متى شاء، بقيت أفكار جوني في حالة من الاضطراب الشديد . . . فبرودتها في التعامل معه، أوحت إليه بأنها لا تكن له شيئاً من المشاعر وأنها لا تأبه به البتة ولا تريد منه الاقتراب منها . . .

هل كانت تمنياتها له بأن يحقق فيلمه النجاح، محاولة جديدة منها لتحجيمه حتى لا يتدخل في شؤونها؟ .

لم تكن كلماتها مشوبة هذه المرة بالازدراء، بل كانت أشبه بموافقة صريحة على أسلوب حياته . . .

وبصرف النظر عن ذلك كله خيل لـ جوني أنها تعزز الحواجز التي بدت مصممة على تشييدها بينهما، قائلة له بصريح العبارة إن غوندامورا هي خشبة مسرحها الوحيد . . . ! .

أقرَّ جوني في سرّه بأن ملاحظتها جاءت في محلها، مع أن عقله أبى إلا مقاومتها . . غير أن الظروف الحالية، لم تكن مؤاتية للإقدام على أي خطوة ميدانية . . .

ماذا لو كان مخطئاً بشأنها؟ .

لن يتمكن من طرد هذه الشكوك من رأسه إلا إن عاد إلى غوندامورا وأمضى وقتاً كافياً برفقتها . . .

مع عودته إلى أريزونا، أخذت حماسته للفيلم تتلاشى، فوجد النص مملاً، خاصة في المشاهد التي تجمعه بأرملة صاحب مزرعة المواشي . . . إذ لم تكن تليق

www.elromancia.com

به شأنها شأن النهاية . . . وبدأت الأسئلة تتدافع في رأسه . . كيف ترى ميغان ستتصرف لو أنها أرملة تكافح للبقاء، ووجدت نفسها تمديد العون لراعي بقر سيتخلى عنها في نهاية المطاف؟ .

حاول جوني أن يقنع المخرج ليدخل بعض التعديلات على المشاهد فيجعلها أكثر وقعاً وقوة مسلّطاً الضوء على تضارب المصالح، وليس على مصلحة المرأة الرمز فحسب . . . مما سيلزم راعي البقر، بالعودة إلى المزرعة بعد إنجاز مهمته . . . وتمكّن بعد جهد جهيد من إقناعه بوجهة نظره . .

وكم كانت البطلة ممتنة له على الدور الهام الذي أسنده إليها . . ! امتنان بلغ حد الإزعاج، فوجد نفسه مرغماً على الإدعاء أمامها بارتباطه بامرأة أخرى، ارتباطاً جدّياً ! .

- من هي؟ .

لم تتوانَ عن سؤاله عنها بعد أن عجزت عن العثور على دليل قاطع يؤكد لها كلامه . . . غير أن جوني أبى أن ينبس ببنت شفة، حتى لا يتصدّر اسم حبيبته المزعومة الصفحات الأولى من الصحف . . .

حافظت ميغان على الوعد الذي قطعته له، وراحت ترسل له تقارير مفصلّة عن سير العمل في المزرعة، وكيفية إنفاقها لكل فلس من المال الذي وضعه تحت تصرفها . . .

صحيح أن رسائلها كانت تبعث الفرح في قلبه إلا أنه كان يمقتها لافتقارها إلى المشاعر الدافئة .

كان جوني حريصاً على الرد على رسائلها كلها، من دون أن يجرؤ على التعدي على حقوقها، محاولاً أن يستجدي منها القليل من العطف عليه . . .

بدا جلياً أن كل ما يقوم به لا وجود له في حياتها . . مما زاد من إحساسه بصغر شأنه . . . هل كانت إنجازاته كلها عديمة الجدوى في نظرها؟ .

تفادى جوني أن يأتي، في رسائله، على ذكر الفيلم، إلا للإشارة إلى المدة الزمنية التي تفصله عن موعد عودته إلى غونداموررا . . . فلم يشأ البقاء لحضور حفل الاختتام، ولم يبالِ مطلقاً بكلام المخرج عن موهبته النادرة . . .

وما إن أنهى تصوير الفيلم، حتى وضّب حقائبه، وأسرع عائداً إلى ديارة في غونداموررا حيث تنتظره ميغان ماغواير .

صحيح أن حالة الأرض لم تشهد أي تحسن منذ رحيل جوني إلا أن ميغان كانت تشعر بالرضى لاستعادة الماشية عافيتها . . فبفضل المال الذي تركه لها جوني، عملت على حفر آبار إرتوازية لتأمين الماء لها، وقامت بشحن علف ذي نوعية عالية . . . علاوة على ذلك، لم تواجه، طوال هذه المدة، أي مشاكل مع جوني، حول إدارة المزرعة . . . إذ غالباً ما كان يثني، في رسائله لها، على جهودها . . .

لا شك أن مشكلتها الوحيدة معه شخصية، ولن تتوصل إلى حلها، إلا بعد أن يلتقيا معاً من جديد . . .

نظرت إلى ساعتها، ثم توجهت عائدة إلى المطبخ لتشرب شاي الصباح . .

ساعات قليلة فقط تفصلها عن موعد وصوله إلى المزرعة . .

وعند وصوله . . تمنّت ميغان في سرها أن تتمكن من الحفاظ على رباطة جأشها، لتراقب طريقة تعامله معها، فتتمكّن بعدها من إعادة تقويم الوضع، وفقاً للمعلومات التي ستحاول جمعها تدريجياً ! .

كانت إيفلين وحدها في المطبخ، تبرش الجزر لتعد كعكة جوني المفضلة . . .

لا شك أن معاونتيّ مدبرة المنزل، براندا وغيل، منهمكتان في تنظيف غرفة الضيوف وتجهيزها لاستقباله . . .

لم تشأ أن تزعج إيفلين وتطلب منها أن تعد لها كوباً من الشاي . . ففضلت أن تتناول قطعتين من البسكويت، للتخفيف من ألم معدتها، بينما تعد الشاي

بنفسها . . وما إن جلست إلى المائدة حاملة كوبها الساخن بيدها ، حتى توقفت إيفلين عن برش الجزر والتفتت نحوها بعطف :

- أنت تحبينه . . منذ رحيله وأنت تبدين على غير عادتك لماذا لا تخبرينه؟

هزّت ميغان كتفيها استهجاناً : «أخبره؟ . . من؟ . . ماذا؟» .

مسحت إيفلين يديها ، فيما بدا واضحاً من نظراتها أنها تعيد النظر في الكلام الذي يجول في رأسها قبل التفوه به : «أنا أعرفك يا ميغان منذ نعومة أظافرك وأعرف انك واقعة في حب جوني حتى أذنيك» .

لم تجد جدوى من الإنكار .

- ما النفع ما دام هو لا يحبني؟

- هل تريدين مني ان أخبره؟

صرخت ميغان مذعورة : «إياك أن تفعلي يا إيفلين . .» .

- لا طائلة تُرجى من إخفاء مشاعرنا .

كان جوني يشعر بالاضطراب لمجرد وجوده قرب ميغان . ولم تخفف حلوى إيفلين الشهية بالجزر والقشدة المثلّجة من اضطراب معدته .

حسناً . . من المؤكد أن عودته إلى المنزل أثارت توتر ميغان .

كانت المرأتان تركزان اهتمامهما عليه بحماسة لا توصف ، كدليل على سرورهما العظيم بعودته ، محاولتين جاهدتين أن تملآ لحظات الصمت القصيرة بمجموعة من الأسئلة ، حول الفيلم . . والرحلة . . ومروره بـ سيدني لمقابلة ريك ومينش . .

كان جوني يفكر في أمر ولا يعرف كيف سيعرضه على ميغان . . لقد قرر أن يطلب منها الزواج . ولكن ماذا ستكون ردة فعلها فيما لو طلب منها ذلك . . كانت هذه الفكرة تقلقه وبات مقتنعاً بأنه يريد هذه المرأة بأي شكل من الأشكال ، يريدها له للأبد .

كان قلبه يرقص فرحاً حين هبطت الطائرة ورأى ميغان واقفة قرب سيارة الرانج روفر تنتظر وصوله لتقلّه إلى المنزل . .

وعلى الرغم من أنها اعتمرت قبعة كبيرة ، إلا أنها تركت شعرها الجميل منسدلاً على كتفيها وكأنها ترغب بإرضائه كامرأة . . . ولم يكد يخرج من باب الطائرة حتى راحت رجلاه تنهبان المسافة التي تفصل بينهما نهباً ، وكل خطوة من خطواته السريعة تنبض بالشوق! .

وكم كانت خيبة أمله عظيمة حين مدت له يدها الصلبة لتصافحه بصورة رسمية . . فلم يجد أمامه سوى أن يكبح رغبته الملحّة بمعانقتها وضمّها إليه .

حتى ابتسامتها كانت باردة . . فقال جوني عندها في نفسه : حسناً . . سأدعها تعتاد على وجودي في المزرعة ، من جديد . . فلتأخذ وقتها كله لتعتاد على الاسترخاء في حضوره .

وها هي الآن تثرثر بلا توقف ، محاولة أن تبدو متألقة وطبيعية في حين أخذت إيفلين تلّح عليه لشرب المزيد من الشاي .

عاد جوني يفكر في هذا الموضوع الذي يسيطر على أفكاره كلها . .

كان الأمر أشبه بوحش خفي ، يكبر ، كل لحظة ، أكثر فأكثر ، مكشّراً عن أنيابه ، يستعد للانقضاض عليه . . وحش شبيه بالوحش الراقد في الخزانة ، الذي اعتاد والداه بالتبني أن يهدداه به ، كلما أساء التصرف . .

غالباً ما كان جوني يؤلف القطع الموسيقية في ذهنه ، ليبعد شبح الوحش عنه . . غير أن الموسيقى لن تبعد شبح الوحش هذه المرة . .

وتذكّر في تلك اللحظة يوم جاء ريك لرؤيته ، وعلى وجهه إمارات الحزن ، يحاول أن يجد الطريقة الأفضل ليخبره بوفاة باتريك . .

عليه هو ان يقدم على ما يريد وينتهي الأمر .

- ميغان ، هل لنا أن ندخل إلى المكتبة؟

-المكتب!.

يبدو أن الأمر يتعلّق بالأعمال.

- حسناً!.

وهبَّ واقفاً من مكانه!. فأسرعت إيفلين تشغل نفسها بغسل يديها متفادية النظر إليه.

مشت ميغان في المقدمة، وتركته يلحق بها..

ومع وصولهما إلى الشرفة التي تحيط بالساحة الداخلية الرباعية الزاوية، لم تحاول الإبطاء قليلاً ليتمكن من اللحاق بها، بل تابعت سيرها، مستقيمة الظهر، شامخة الرأس، من دون أن تتحنن عليه بنظرة خاطفة..

ولاحظ جوني أن الحُمرة لا تزال تعلو خديها، فيما كانت يداها مضمومتين..

لم تنتظره ليفتح لها باب المكتب، بل دخلت إليه لا تلتفت يميناً أو شمالاً وكلها ثقة من أنه سيلحق بها ويغلق الباب خلفه.. وكم تفاجأ حين رآها متوجهة نحو طاولة الشطرنج بدلاً من الجلوس على كرسي والدها خلف المكتب لتستمد منها بعضاً من قوته...

وقفت ميغان قرب طاولة الشطرنج، ويداها مضمومتان بشدة، تتأمل الرقعة البيضاء والسوداء أمامها. فتقدم جوني نحو طاولة المكتب واستند إلى الجزء الأمامي منها، محاولاً أن يظهر لها ارتياحاً لا يشعر به... عليه أن يطلب منها الزواج.

كم تمنى أن يكسب ثقتها.. إن كانت تثق به قليلاً... لكن الوقت ليس ملائماً... قال لها محاولاً أن يخفف من توترها:

- لا عليك يا ميغان.. لن أحاول عضَّك.. أريد أن أعرض عليك شيئاً.

أرجعت رأسها إلى الخلف واستدارت نحوه لتواجهه.. فبدت تعابير

وجهها ممزّقة في صراع داخلي فهي تريد الهرب منه وفي الوقت ذاته تريد التقرب منه.

- ماذا تريد يا جوني؟

جاء تصريحها الصريح مشوباً بعقدة الذنب والتحدي في آن معاً..

- علينا أن نتزوج!.

أعلن لها ذلك وابتعد عن طاولة المكتب ليقف قبالتها بطوله الفارع، مصمماً على التصدّي لكل محاولة منه لمعارضته..

- نتزوج!.

بدت وكأنها لا تصدق ما تفوه به!.

- قال لي ميتش إن الأمر يتطلب شهراً على الأقل... يمكننا السفر غداً إلى بورك ونوقع على الأوراق اللازمة للإشعار القانوني.

- لم يعد الناس يتزوجون بدون دافع.

صرخت في وجهه مصعوقة، وهي تصفق بيديها من شدة الإثارة.

- أتدري ماذا تطلب مني؟ لماذا تريد الزواج بي؟

- لأنك المرأة التي وضع على كاهلي مسؤوليتها...

- ولكن الناس لا يتزوجون بسبب مسؤولية وقعت على كاهلهم.

أجابها بصوت ملؤه التعاطف: «أنا أفعل ذلك»

- إنني المسؤولة الوحيدة عن نفسي... ولا أحملك مسؤوليتي أبداً!.

ردَّ عليها بنبرة هادئة:

- أنت مسؤوليتي سواء أتقبلت الفكرة أم لا!

- ولكن ذلك لا يعني أنك مرغم على الزواج بي.

ومضَ الكبرياء الجامح في عينيها:

- ألديك سبب يمنعك من الزواج بي؟.

امتنعت ميغان عن الإجابة... ولمح في عينيها شكّاً مصحوباً بالألم!.

من الصعب عليها أن تتزوج شخصاً غريباً في الوقت الذي سيشاطرها ملكية غوندامورا إلى الأبد.

- عدت يا ميغان ولن تتمكني من طردي أو إرغامي على الرحيل... فلمَ لا تقبلين؟..

قاطعته بحماسة: «لكنكَ سترحل.. كلما دقّت فرص العمل أبوابك..».

- لا شيء يرغمني على القبول بها.. يمكنني أن أتخلّى عن عالم الفن في هذه اللحظة بالذات.

- قد تندم على المدى الطويل!.

- لا يمكنك أن تتنبئي بالمستقبل... لماذا ترفضين الزواج بي؟

لم يجد جوني رداً على سؤاله هذا إلاّ في اعتقادها الراسخ بأنه سيرحل بعيداً..

- أعلم أن غوندامورا هي محور عالمك.. وهي جزء هام من عالمي.. ونحن إلى ذلك نشكل ثنائياً منسجماً.

- الزواج يحتاج الى أكثر من انسجام ثنائي.

-الزمان والعشرة كفيلان بتحقيق ما يتعدى الانسجام خاصة عندما نرزق أطفالاً.

- كلا!.

وراحت تذرع المكان جيئةً وذهاباً، وفي داخلها طاقة عنيفة تمنعها من الوقوف ثانية في مكانها، وقد ضمّت ذراعيها إلى صدرها لتضبط نفسها وتصده عنها في آن معاً...

كانت نيران الغضب تتأجج في داخله.. كيف خيل إليها أنه قد يرحل بعيداً لمتابعة أعماله ويتركها وحدها في هذه الأراضي الشاسعة؟

رمته بنظرة موزونة: «قلت لي إنك تعتبر غوندامورا موطنك..».

- لمَ لا نؤسس عائلة يا ميغان؟ لمَ تعترضين على الزواج بي؟.

- إن قبلت الزواج بك، هل ستتركني وحدي وتذهب بالتزاماتك في الخارج؟.

كانت ميغان تجد في مهنته عائقاً من الصعب تجاوزه، على الرغم من أنه تمكّن من إقناعها بإجحاف أحكامها المسبقة عليه..

- في حال قررت السفر في رحلة عمل، سأصطحب عائلتي معي.

- كلا!.

وتوهج خدّاها من شدة اعتدادها بنفسها..

- أرفض منافسة...

وتوقفت فجأة عن الكلام وفي عينيها عاصفة من المشاعر العنيفة..

- منافسة من؟.

- النساء في عالمك!.

خرجت الكلمات من فمها بعد أن عجزت عن كبحها!. فهزّ برأسه استهجاناً.. ألا تعي بعد أنها المرأة الوحيد التي يتمناها؟.

وأدرك في الحال مدى ضعفها وهي تقاوم للبقاء على الأرض الوحيدة التي تشعر بالأمان فيها!.

قال لها برقة محاولاً إزالة مخاوفها: «لا شيء يدعوك لمنافسة أحد».

نظرت إليه بعينين مشوبتين بالارتباك فتقدم نحوها وهو يومىء بيديه إيماءة مغرية..

- يمكنك الوثوق بي يا ميغان.. أقسم بأن أخلص لك إن وافقت على الزواج بي.

بقيت مسمّرة في مكانها، ترفرف بعينيها وكأنها تعجز عن كبح رغبتها بتصديقه.

رفع يديه يداعب كفّيها بأصابعه وقال: «أعدك بأن تبقى غونداموراً موطناً لك.. لكن إن طلبت منك، بين الحين والآخر، مغادرتها لمرافقتي إلى مكان ما، فهل تملكين الشجاعة الكافية للإقدام على ذلك يا ميغان؟».

- هذه حياتي يا جوني ولا تطلب مني أن أتخلى عنها، وإلا أصبحت أشبه بسمكة خارج الماء.. وأنا أكره ذلك...

أمسك بوجهها بين يديه، مرغماً إياها على النظر في عينيه وقد صمّم على حل هذه المسألة:

- أظن أن كلامك نابع من خوفك... جلّ ما نحتاج إليه هو القليل من الإيمان.. ثمّة حقيقة لا يمكننا تجاهلها وهي أن الواحد منا متعلق بالآخر تعلقاً شديداً. تعلمين جيداً أن الزواج يبنى على العطاء المتبادل وليس على شروط تقيد علاقتنا كزوج أو زوجة، إن لم تقضي عليها. ما عليك سوى أن تمنحينا فرصة!.

أنزل يديه عن وجهها وتراجع قليلاً إلى الخلف ثم تابع يقول:

- فكري في الأمر يا ميغان.. ولنحاول أن نبذل قصارى جهدنا لإنجاح هذا الزواج.. أنتظر ردّك صباح الغد..

- مهلاً!.

أمسك جوني مقبض الباب يهم بفتحه حين اخترق صوتها الصمت العميق المخيّم عليهما.. فصرّ على أسنانه والتفت نحوها، ليمنحها، على مضض، دقائق أخرى، مع أنه لم يكن مستعداً للمضي في الجدال. إنه يريد منها أن تقبل الزواج.. لماذا لا تفهم هذه المرأة أن مشاعره تجاهها أقوى منه.

كانت تفرك يديها بعضهما ببعض من شدة التوتر، فيما خيّم الخوف على نظراتها.. خوف وجده جوني مؤلماً...

لم يفعل أي شيء ليؤذيها... ولن يفعل ذلك أبداً..

ابتلعت ريقها بصعوبة وكأن أفكاره تزعجها...

- اللعنة يا ميغان.. ألا ترين..

- سأمنحك فرصة!.

- فرصة!.

- قبلت الزواج بك!.

٩ - ثقي بي!

«هل تقبلين يا ميغان ماري ماغواير بهذا الرجل...».

فيما كان الكاهن يتلو النذور التقليدية بوقار يتلاءم مع المناسبة، وجدت ميغان نفسها في حالة من الذهول لا تصدق ما يدور حولها.. أتراها تحلم أم أنها مرتدية فعلاً ثوب الزفاف وتستعد للتفوه بالكلمات التي ستجعل منها زوجة جوني؟.

هذا الرجل.. هذا الرجل الذي لطالما تاقت توقاً شديداً إليه.. هذا الرجل الذي كان زواجها به أشبه بنزوة شباب، أكثر منه حقيقة ملموسة.. ها هو يقف إلى جانبها على العشب الأخضر في الساحة الداخلية، في حضور جميع المقيمين في المزرعة وأفراد عائلتها، والأصدقاء المقربين منه، الذين جاؤوا جميعاً ليكونوا شهوداً على هذا الزواج...

صحيح أن حلمها تحول إلى حقيقة، لكنها تمنت لو أن والدها كان حيّاً يرزق ليسلمها إلى عريسها..

لعل روحه تحوم حولهم في تلك اللحظة!.

لا شك أن وصيته أشعلت فتيل المشاعر في أحشائها فتفجرت المشاعر الدفينة لتثمر عن علاقة محمومة..

ليت الفرصة سنحت لها لتتأكد من حب جوني فتكون أسعد عروس على وجه الأرض...

ولكن الخوف سيطر عليها وتمنّت في قرارة نفسها أن تسير الأمور على خير ما

يرام لتتمكن من التكيُّف مع قرارها.

نظر الكاهن إليها بترقُّب، فقالت له: «نعم».

- هل تقبل يا جوني إيليس بهذه المرأة..

كانت ميغان واثقة تمام الثقة من رده.. إذ لم تكد تبلغه بموافقتها على الزواج به حتى بدأ بالاستعداد لحفل الزفاف، رافضاً الاكتفاء بزواج مدني سريع في دار البلدية ومصّراً على إقامة حفل يليق بالمناسبة، في حضور الأشخاص المقرّبين منها.. وهل من مكان أفضل من غونداميورا - موطنهما معاً- لإضفاء طابع شخصي وحميم على الاحتفال؟.

من جهته، تعهد ريك بالتقاط الصور كافة، بغية نشر عدد منها في الصحف والمجلات، ليعلم الجميع بأمر زفافه.

اعترضت ميغان، في بادىء الأمر، على فكرة نشر صور لها- عروس جوني إيليس - في أنحاء العالم كله، فتصبح بالتالي جزءاً أساسياً من الآلية الإعلانية التي تحيط بمهنته.. إلا أن رده أسقط حججها كلها..

- لا أريد إخفائك عن العالم أو زجكِ في منافسة، من أي نوع كانت.. فأنتِ أجمل النساء في نظري... وأريد أن تعلم الأخريات هذه الحقيقة.. حقيقة زواجي بكِ...

لم تخل يوماً نفسها جميلة... أو شبيهة بالنساء اللواتي يعاشرهنَّ..

أتراه قال لها ذلك لإزالة الرعب الذي اعتراها من إمكانية مقارنتها بهنَّ؟.

في مطلق الأحوال، كانت ميغان تتمنى أن تكون عند حسن ظنه لا سيما في يوم زفافهما... فطلبت من لارا، التي كانت عارضة أزياء شهيرة، أن تساعدها في اختيار ثوب الزفاف... فانتقت لها ثوباً من الحرير العاجي مزين بشرائط تتدلى منها حبات من اللؤلؤ، لتتمكن من تزيين عنقها بعقدها اللؤلؤ، ورأسها بطرحة طويلة معلقة بتاج مرصّع باللؤلؤ...

قالت لها إيفلين والدموع تترقرق في عينيها إنها تبدو أشبه بأميرة.. أميرة يفتخر بها والداها..

جلُّ ما تمنته ميغان في تلك اللحظة هو أن يفتخر بها جوني...

قال بحزم: «نعم».

وتبادلا الخاتمين الذهبيين اللذين اختارهما بنفسه..

أحسَّت ميغان بفرح عظيم حين أبدى استعداده لوضع الخاتم أيضاً كرمز على التزامه بهذا الزواج.

خلال الشهر المنصرم كرَّس جوني وقته كله لإنجاز الأعمال المتراكمة في المزرعة، ساعياً ليثبت لها اهتمامه الجدي بها، فجاء باقتراحات عديدة لتحسين الوضع، يمكن أخذها بعين الاعتبار بعد أن يتحسن الطقس.

ولكن كم من الوقت قد يمضي في هذا المكان قبل أن تناديه أعماله ليسافر بعيداً؟ وكيف سيتمكَّن من التأقلم مع هذا النمط من العيش؟.

كفِّي عن التفكير في هذا الموضوع يا ميغان..

- أعلنكما زوجاً وزوجة!.

ورأت جوني يبتسم لها فيما تناهت إلى مسمعها طقطقة آلة التصوير..

أخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها من شدة لهفتها إلى القبلة المنتظرة! فوجدت صعوبة في رسم ابتسامة على ثغرها وذهنها مشغول يحاول أن يدرك حقيقة التعابير البادية في عينيه..

أتراه يستحسن شكلها الجميل؟ أم أنها نشوة النصر، بعد أن أرغمها على الخضوع لمشيئته، مع أنه تفادى أي اتصال حميم بينهما قبل الزفاف؟.

في مطلق الأحوال، لم يغفل عنها توقه الشديد إليها، وفرحه الكبير بالوعد الذي قطعته أمام الله والناس على أن تكون له إلى الأبد..

بعد أن وقعا معاً على وثيقة الزواج، احتشد الجميع حولهما ليقدموا لهما

التهاني متمنين لهما حياة سعيدة..

أما أختاها فأعربتا عن فرحتهما الكبيرة لزواجها من جوني، من دون أن تنتقدا تصرفها المتهور.. فالحب قادر، بنظرهما، على قهر المصاعب، وسيكتب لزواجهما النجاح حتماً..

غير أن الحب الوحيد الذي كانت ميغان واثقة منه هو حب جوني لهذه الأرض التي حولته إلى انسان جديد.

بعد الانتهاء من مراسم الزواج، شارك الجميع في حفل شواء حافل، علِّقت خلاله الأضواء الملونة على أشجار الفلفل، كما جرت العادة، خلال عيد الميلاد.. وساد المكان جو من الفرح، وأُلقيت الخطابات، وغنى جوني على وقع موسيقى الغيتار، أغنية ألَّفها خصيصاً لها. إنها «أغنية العودة إلى الوطن» التي حرَّكت مشاعر الجميع بمن فيهم ميغان التي تمنت لو كانت كلمات الأغنية تعبِّر عن أحاسيسه الحقيقية...

أمام هذا المشهد، وجدت لارا نفسها تدعوه للمشاركة في حفل خيري، سيقام في سيدني، من أجل إعانة المناطق التي تعاني من الجفاف.

- من المؤكد أن اسمك سيجذب عدداً كبيراً من الناس يا جوني.. سيقام الحفل بعد شهرين تقريباً.. وبدأنا العمل على تحديد المواعيد للفنانين الذين نأمل مشاركتهم فيه.. فهدفنا الأساسي هو أن يكرسوا موهبتهم للقضية.

اعتذر منها بطريقة لبقة:

- إنني عازم على الابتعاد عن الأضواء في الوقت الحالي!.

أدركت ميغان، في الحال، أنه يفعل ذلك من أجلها، فأسرعت تقول له:

- لا بأس يا جوني.. يمكنك المشاركة في الحفل إن كنت ترغب في ذلك.

قطَّب جوني جبينه وقد أربكته لهفتها إلى رؤيته يلعب دور النجم الصاعد من جديد.. فاستطردت تقول محاولة أن تثبت له مدى استعدادها للتعامل معه

بانصاف:

- ستخصص أرباح الحفل لإعانة أناس بأمس الحاجة للمساعدة..

- لكن الحفل سيقام بعد شهرين يا ميغان.. لا أستطيع تركك لوحدك..؟.

- يمكنني مرافقتك.

كانت ميغان مصممة على ألا تبدو أنانية في نظره.. علاوة على ذلك، سيقام هذا الحفل، في أوستراليا، وليس في خارجها، مما يعني أن غيابهما عن المزرعة قد لا يدوم أكثر من أسبوع أو أسبوعين كحد أقصى.

- ستتاح لي الفرصة لشراء بعض الحاجيات.

تدخلت لارا قائلة:

- وسأصطحبك إلى أفضل المتاجر فيها، لنستمتع بالتسوق معاً.

- يمكنني مرافقتكما.

وافقتهما كاترين الرأي وهي تبتسم لـ ميتش الذي كان يحمل طفلهما بين يديه مزهواً به.. وتضرعت ميغان إلى الله في سرها ليجعل جوني من أوستراليا مقراً دائماً له..

- بشأن الحفل الموسيقي يا لارا.. هلاَّ أرسلت لي الأوراق اللازمة لأطّلع عليها وأعلمك بعدها بقراري؟.

لم يكن وعده قاطعاً... فاحسّت ميغان بخيبة الأمل وقد تعذّر عليها الفوز بموافقته.. فصمّمت على أن تكتشف السبب الكامن وراء تحفظه هذا..

ثمة أمور كثيرة تجهلها عن جوني مع إنها تعرفه منذ نعومة أظافرها. إلا أنها واثقة من أنه أكثر الرجال وسامة في عالمها، ويخطف الأنفاس في بذلته الرسمية السوداء..

إنه الآن زوجها في السرّاء والضرّاء وعليها أن تكف عن القلق بشأن المستقبل وتحصر اهتمامها كله بليلة الزفاف، التي ستمنحه خلالها نفسها

بكليتها.

غداً صباحاً يغادران المزرعة في رحلة شهر عسل إلى برومي تدوم أسبوعاً بكامله.. أسبوع من الحب والأوقات السعيدة..

أرادت ميغان أن تثبت له هذا المساء أن علاقتها به لا تقتصر على لحظات من السعادة الفانية، التي قد تساعدها على نسيان همومها.. إنها تريده بكل جوارحها ولا تريد أحداً سواه..

حاولت أن تنقل له هذه الرسالة بينما كان ريك يساعدهما على اتخاذ الوضعية الملائمة للصورة التذكارية..

كان الليل قد أرخى ستاره... وآن الوقت ليتفرّق المدعوون فاحتشدوا جميعاً في البقعة التي اختارها ريك لالتقاط الصورة بعيداً عن المباني.

فأوقف ميغان قبالة جوني ممسكة بيديه، وخلفهما مشهد طبيعي مظلم تعلوه السماء المتلألئة بالنجوم..

وقف العروسان ينتظران ريك ليُنسّق الإضاءة، فراح جوني يمازحه حول عين الفنان الدقيقة. وقد بدا سعيداً للغاية بالتعاون مع صديقه القديم ليطبق الفكرة التي رسمها في ذهنه.

رفع ميتش عينيه إلى السماء المضاءة بالنجوم ثم قال هامساً بنبرة مفعمة بالإجلال: «إنها تضاهي أكثر الكنائس عظمة.. فهمت الآن سبب فوزك بتلك الجوائز التصويرية كلها يا ريك».

أجابه ريك: «لا شك أن الطبيعة تضاهي كل ما هو مختلف.. أريد أن ألتقط لهما صورة تنم عن البدائية وتدل على إيمان الإنسان بأخيه الإنسان في مواجهة مجاهل أوستراليا الكئيبة..».

أحسّت ميغان بقشعريرة تسري على طول عامودها الفقري وقد أدركت حقيقة هذه الكلمات المتسمة بحدة الملاحظة. ورفعت عينيها لتقابلا عينيه

الثاقبتين اللتين كانتا تحفران في قلبها رسالة حاسمة . . «ثقي بي».

لم تسمع طقطقة آلة التصوير التي التقطت جيَشان عواطفها وتفجر رغبتها الشديدة بالإيمان بأن زواجهما سيتخطى كل العقبات التي قد تضعها الحياة في طريقهما، فينمو ويزدهر في موطنها غونداموراً . . ذلك الموطن الذي تتمنى أن يشعر جوني وأولادهما بانتمائهم إليه . .

بقيت هذه المشاعر الجيَّاشة تتخبط في داخلها إلى أن أصبحا لوحدهما في غرفتهما . . فزال خوفها واضطرابها وأحسَّت وكأن كل قبلة أو لمسة منه تحمل معها بهجة كبيرة لاتحادهما معاً في ظل توق عميق لكل ما قد يمنحه واحدهم للآخر من متعة . . .

إنهما زوج وزوجة . . . وفي ليلة زفافهما هذه تركت الحقائق الأخرى منسية، ليرفع النقاب عنها في حينه .

١٠ - سرٌ من الماضي

كان شهر عسلهما في منتهى السعادة : أسبوع بكامله في برومي، نهاره حار وليله منعش، بعيداً عن مشاكل غونداموراً . . . لا يفكران إلا بالانجراف وراء نزواتهما المتهورة حيثما حملتهما . . .

وتحولت علاقتهما إلى نوع من الإدمان بالنسبة إلى ميغان . . فجوني عاشق بارع، يرغب بها بكل جوارحه . . وكلما لمحت في عينيه بريق اللهفة، أسرعت تشعل فتيلها، فتمتلىء بالرضى وهو يأخذها بعدها بين ذراعيه، ويعانقها عناقاً طويلاً . .

لم يقل لها يوماً إنه يحبها، وأبت ميغان أن تعترف له بما يخالجها نحوه من مشاعر، منذ زمن بعيد . .

إنه يبذل كل ما بوسعه ليكون زوجاً صالحاً، ويوفر لها كل مصادر السعادة .

بعد عودتهما إلى غونداموراً، شغل جوني نفسه بالاعتناء بالماشية، فراح يرافق العمال أينما ذهبوا للقيام بالأعمال الروتينية، ويعود عند المساء راضياً كل الرضى عما أنجزه .

أما هي فبدأت تشعر بغثيان صباحي ولما تكرر الأمر أجرت فحصاً للحمل فتبين أنها حامل . . لم تصدق أنها قد حملت بطفل بهذه السرعة .

حارت أتخبره الآن أم تؤجل الموضوع ولكن ايفلين التي كانت قد لاحظت حالتها سألتها في أحد الأيام : «هل أخبرت جوني بأمر حملك» .

دهشت ميغان فكيف عرفت ايفلين بهذا .

قالت لها ايڤلين: «رأيت حالات كثيرة... لذا لن يكون صعباً عليّ اكتشاف أمر حملك.. هذا الغثيان الصباحي وكرهك لبعض الأطعمة.. أخبري جوني بالأمر فسيسر كثيراً».

كان القلق يسيطر على ميغان: «ولكن ماذا إن كان لا يرغب في الأطفال بهذه السرعة».

قالت ايڤلين: «أرغب في هذا الطفل أم لم يرغب فهو الوالد ولا أظنه بعد كل ما عاناه سيرفض طفله.. لحمه ودمه».

دخل جوني في هذه الاثناء على ميغان وأيڤلين ولاحظ أنه قاطع حوارهما فسأل: «هل أقاطعكما؟».

قالت ايڤلين: «لا ابداً.. ولكن لدى زوجتك خبراً سيسرك.. سأخرج الآن وادعكما».

بعد مغادرة ايڤلين نظر نظرة طويلة إلى ميغان فرأى القلق على وجهها.

- ماذا هناك؟ هل أنت مريضة؟

نظرت إليه وقالت: «إنني حامل.. ربما كان عليّ أن آخذ بعض الاحتياطات فلا أظنك تريد طفلاً بهذه السرعة؟».

تقلبت ملامح جوني ما بين عدم التصديق والسرور ثم اقترب منها وحملها بين ذراعيه ودار بها مسروراً.

- أنت حامل؟ هذا أعظم خبر أسمعه.. يا إلهي أنا سأصبح أباً.

أنزلها على الأرض ثم قال لها: «عليك أن تستريحي. يجب ألا تتعبي نفسك أنا سأحاول القيام بجميع الأعمال.. أما أنت فعليك الراحة».

ضحكت ميغان وقالت له: «الحمل ليس مرضاً».

- لا أريد نقاشاً في هذا الموضوع.. الراحة للأم والعمل للأب.

لم تستطع ميغان أن تنكر التزامه المطلق بشراكتهما، لا سيما وأن حياتهما

بقيت هانئة، إلى أن عكر صفوها الحفل الخيري التي دعته لارا للمشاركة فيه، خلال حفل الزفاف. فبعد أن أرسلت له الأوراق اللازمة ليطّلع عليها، ثارت ثائرة ميغان من تردده في اتخاذ قرار بهذا الشأن، مدركة تماماً الإدراك أن ردة فعلها السلبية حيال مهنته، هي السبب في معارضته الفكرة.

فلم تجد أمامها سوى أن تعمل على تغيير موقعها السابق، فتحاول إقناعه بأن إعانة المناطق المصابة بالجفاف هي أفضل قضية يمكنه أن يكرس موهبته من أجلها، خاصة وأنه بات مرتبطاً بهذه الأرض.

ولم تتوقع أبداً أن يؤدي الاتفاق الذي توصلا إليه إلى خلق خلاف بينهما..

إذ لم تمضِ أيام قليلة حتى أرسلوا يطلبون موافقته على إجراء مقابلة معه في غوندامورا، ولكنه رفض ذلك بشدة..

حاولت ميغان حثّه على الموافقة فقالت له:

- قلت إنك لا تريد إخفائي.

- لا أريد إخفاءك بل حمايتك.. لا تملكين أدنى خبرة في التعامل مع رجال الصحافة، ومن الممكن أن يحرّفوا كلامك ليؤلفوا قصة على هواهم.

- ولكنني أملك معلومات وافية عن مشكلة الجفاف.

- لا أظنهم يسعون وراء تحقيق صحفي حول الجفاف.

لم تصدقه.. وخطر لها أنه لا يريد أن يسلط الأضواء عليها، ولم يمضِ على زواجهما إلا فترة قصيرة.. غير أنها وجدت أنه من الأفضل أن يواجها الأمر ويتخطيا هذه العقبة في أقرب فرصة ممكنة..

علاوة على ذلك، كانت واثقة تمام الثقة من أن المقالة الصحافية ستعطي الناس فكرة واضحة عن المشاكل التي تعاني منها البلاد..

لمَ يخال أن الأمر سيلحق بها الأذى؟ ما الذي يريد أن يحميها منه؟.

قال لها وقد ضاق ذرعاً بعنادها:

- لا يمكنك أن تملي على الصحافيين ما ينبغي عليهم كتابته . . إن المقابلة الوحيدة التي يمكنك التحكم بسيرها هي تلك التي تعرض مباشرة على الهواء، علماً أنها تحتاج إلى تمرين طويل لتصبحي بارعة فيها . . .

جلّ ما شعرت به ميغان هو أنه لا يريد أن يتقاسم معها هذا الجزء من حياته . . كان جوني إيليس نجماً صاعداً ومعبود الجماهير . . . ومن الأفضل أن تبقى زوجته بعيداً عن الواجهة . .

في سبيل سد الثغرة التي نشأت بينهما، وافق جوني على إجراء المقابلة في غونداموررا . . فجاء عنوان المقالة «إنقاذ عروس في مجاهل أوستراليا». وتضمن الصورة التذكارية التي التقطها لهما ريك ليلة الزفاف . .

والغريب في الأمر هو أنهم لم يأتوا على ذكر مشاكل الجفاف إلا للإشارة إلى الأموال التي استثمرها جوني إيليس في غونداموررا بغية إنقاذ مزرعة الماشية . . أما المقاطع الأخرى من المقالة، فتناولت مهنة جوني ومشاريعه المستقبلية بعد أن ارتبط بالأرض . .

كرهت ميغان المقالة والشكوك التي زرعتها في رأسها، وتجاهلها التام للأمور الهامة التي تحدثت مع جوني بشأنها . . فقالت له غاضبة :

- كيف تستطيع أن تتحمل ذلك؟ .

- ألست أنت من اختار أن يغزو رجال الصحافة حياتنا الخاصة لتلمسي الحقيقة بنفسك؟ هلاّ أصغيت إليّ الآن؟ .

لزمت ميغان الصمت فيما أخذ جوني يشرح لها الخطة التي وضعها والأسباب التي دفعته إلى ذلك . .

فلم تجد أمامها سوى أن تقبل بها، نظراً لأنها حامل، وجدول مواعيده حافل بالتمرينات، والحملات الدعائية التي ستجذب عدداً أكبر من المعجبين .

وها هي تنعم بالغنج والدلال في منزل ريك ولارا في بالمورال بيتش، بينما

فضّل جوني أن ينزل في جناح فخم في أحد الفنادق الراقية في المدينة، بعد أن أمّنوا له عدداً وافياً من الحرّاس الشخصيين لإبعاد الفضوليين ومرافقته حيثما ذهب .

ذهبت ميغان للتسوّق مع لارا وكاترين واستمتعت كثيراً بالتنقل في أرجاء المدينة، على هواها . . غير أن الشوق إلى صحبة جوني وصدره الحنون كان يقضّ عليها مضجعها . . .

من جهته، حرص جوني على الاتصال بها يومياً على هاتفها الخلوي، علّ ذلك يزيل إحساسها بأنه يحاول إبعادها من حياته . . ولكن من دون جدوى . .

لم يكن حديثه معها يتخطى حدود الاطمئنان على حالها، والسؤال عن الأماكن التي قصدتها والأغراض التي ابتاعتها . . فخيّل إليها أنه يقلل من شأن نشاطاته عمداً، ظناً منه أنها لا تكترث لها . . وكلّما ألحّت عليه ليتحدث عنها، صدّها رافضاً السماح لها بمشاطرته شؤونه . .

خلال إحدى المكالمات الهاتفية، انفجرت في وجهه ساخطة :

- هل سيبقى الوضع على ما هو عليه؟ كل واحد منا في مكان .

خيّم صمت مشوب بسخرية لاذعة عليهما . . ألم تكن واضحة معه منذ البداية، حين أبت زجّها وزجّ أولادهما في حياته المهنية، ملّحة عليه ليكرّس لهم مكانة منفصلة عنها؟ .

إلا أنها كانت تأمل أن تنقل غرسة المودة التي ترسخّت جذورها في غونداموررا خلال الشهرين الماضيين لتزرعها في مكان آخر . . .

لعله لا يجد ضرورة لذلك! .

لعنت ميغان في سرّها موقفها العنيد، مدركة أن ظلّه لا يزال يسيطر على تفكير جوني، على الرغم من محاولاتها الحثيثة لتثبت له أنها إنسانة مختلفة . .

توترت أعصابها وهي تنتظر رده، آملة أن يقول لها شيئاً يهدىء من روعها

قليلاً، فتتوقف عن القلق..

- كلا.. لن تبقي حاملاً إلى الأبد يا ميغان...

كانت نبرة صوته خير دليل على نفاد صبره وانزعاجه من طبعها النكد:

- قلت لك من قبل إنني أحاول أن أجنّبك ضغوطات قد تسيء إليك.. أسبوع واحد بعد ونعود إلى منزلنا، اتفقنا؟.

بدا كلامه منطقياً للغاية، إلا أن ذهنها المرهق أوحى إليها بأن جوني يظنها عاجزة عن مجاراة متطلبات مهنته... ففضل الانفصال عنها مؤقتاً حتى لا يتكبّد عناء رعايتها واستدراك أخطائها النابعة من افتقارها للخبرة.. مما يعني أنها قد تعيق عمله بدلاً من تسهيله، خاصة وأنه عازم على إظهار أفضل ما عنده..

وإذ أدركت مدى أنانيتها، قررت أن تنسى الأمر، وتبذل جهدها لتتعلم كيفية التعامل مع هذا الوسط، إن تواجدت فيه مرة ثانية، والإصغاء إلى كلامه بدلاً من مجادلته لفرض رأيها...

بقي تشديد جوني على مسألة حملها يتردد في رأسها... فالطفل مهم جداً بالنسبة إليه... وعلى الرغم من أن زواجهما بدا لها متيناً في غونداميورا، أحسّت ميغان وكأنها تعيش في جنّة مزيفة، وتمشي فوق رمال متحركة، لا تعرف متى تبتلعها.

كان ريك ولارا يستمتعان كثيراً برؤيتها تتابع مقابلاته التلفزيونية والإذاعية، وتقرأ كل ما ينشر عنه في الصحف، ظناً منهما أنها مهووسة بحب زوجها الشديد.. ولم يخطر على بالهما قط أن قلقها الداخلي كان يدفعها للتأكد من كل كلمة قد يتفوه بها عنها..

في معظم الأحيان، كان جوني يتهرب من الأسئلة المتعلقة بحياته الخاصة، ويتحدث بشغف غريب عن أوضاع المزارعين والرعاة، الذين عملوا في الأرض، على مر الأجيال، وأفادوا من عملهم الأوستراليين جميعاً... وذكر

جوني الناس بالأغاني والقصائد التي تتناول قساوة الحياة في الريف، وثقافة البقاء التي تعتبر جوهر الوطنية...

علّق ريك بإعجاب واضح فيما كانوا يشاهدونه يغني، في أحد البرامج المحلية: «كلمات أغانيه تصيب القلب إصابة مباشرة».

أقرّت ميغان في سرّها بأن كلامه صحيح.. فهي تصيب قلب المذيعة التي أخذت تتلوى من شدة انجذابها نحوه..

كم بدا وسيماً وصادقاً وهو يغني بصوت ملؤه الإغراء، وتنبعث منه جاذبية مثيرة جعلت تلك المرأة المعروفة بصلابتها وقوتها تذوب رقة أمامه..

كان بإمكانه أن يختار المرأة التي يريد ليتزوج بها.. ولكنه لم يفعل.. وقرر عوضاً عن ذلك الزواج بها.

مع حلول الليلة المنتظرة. أخذت المشاعر تتخبط في داخل ميغان.. كانت لارا عضواً في المجلس الخيري، وتمكنّت من الحصول على بطاقات تخولهم الجلوس في المقاعد الأمامية من الصف الرئيسي المواجه لخشبة المسرح..

- ثمة حاجز يفصل بينه وبين الجنون الذي قد يصاب به الحاضرون.

- جنون؟.

- ألم تحضري حفلاً موسيقياً من قبل يا ميغان؟.

- كلا.

- غالباً ما يحاول المعجبون التسلل إلى المنطقة المحاذية لخشبة المسرح خاصة حين تبلغ الحماسة منهم مبلغاً.. أؤكد لك أننا سنكون في أمان في مقاعدنا..

أمان.. أثارت هذه الكلمات توترها.. ولم تكد تجلس في مكانها، في القاعة الضخمة التي كانت تضج بالآلاف من المعجبين الشديدي الحماسة، حتى أدركت حسن اختيار لارا للمقاعد..

وما إن اعتلت أول فرقة موسيقية المسرح حتى راح المعجبون يصرخون مع

الموسيقى الصاخبة وهم يقفزون في أماكنهم كأنهم أصيبوا بمس..

إنه أفضل درس قد تتعلمه ميغان حول حياة جوني.. كانت تعلم جيداً أنه قدَّم حفلات عدة في الولايات المتحدة وأوستراليا.. فهو فنان بارع في حقل الموسيقى الريفية، على الرغم من أن شعبيته لا تقتصر على المعجبين فحسب.. فأغانيه بلغت أقاصي العالم وجعلته يكتسب هذه الليلة، مكانة النجم الأول، الذي سيختم الحفل، بعد أن يلهب المشاعر.

مع تقدم ساعات الليل، اضطر الحرَّاس إلى منع بعض المعجبين من الصعود إلى المسرح، فيما نقل البعض الآخر إلى الخارج، للحصول على العناية الطبية اللازمة، بعد أن فقدوا وعيهم من شدة الازدحام أو الإثارة.

قبل أن يظهر جوني على المسرح، تمكنت فتاة شعرها طويل أشقر، مرتدية فستاناً أحمر قصير، من الصعود إلى المسرح، لتدُس شيئاً في يد المغني الذي كان يستعد للمغادرة، قبل أن تفر هاربة من وجه الحرَّاس.

قالت لارا بنبرة جافة: «يا لها من فتاة مهووسة.. لا شك أن الحرَّاس سيعثرون عليها خلف الكواليس بعد انتهاء العرض».

أحسَّت ميغان بالارتياح لأن الفتاة لم تستهدف زوجها، مع إنها واثقة تمام الثقة من أنه لن يمُن عليها حتى بنظرة.. فكلامه عن المعجبات المهوسات بفنه أكد لها أنه لا يستغل شهرته لتحقيق مآربه الشخصية.

أتحتاج إلى المزيد من الأدِلة على مدى افتتان النساء به؟.

كان اضطرابها قد بلغ أوجه وهي تنتظره ليظهر على خشبة المسرح ويؤدي أغانيه أمام هذا الحشد الهائل من الناس.

أكد جوني لنفسه، بينما كان ينتظر أعضاء الفرقة الموسيقية ليخلوا المسرح، أنها الحفلة الموسيقية الأخيرة التي سيشارك فيها.. كان الشبَّان يتبخترون، متباهين بالتجاوب الجامح مع موسيقاهم، مستمتعين بهيَجان الجمهور الشديد، الذي لم يلبث أن خمد، كدليل على أن الأمر يتعلق بالموسيقى والحدث

بحد ذاته، وليس بشخصهم...

شعر جوني بنفور من هذا النمط من الحياة، آبياً العودة مجدداً إلى غرفة الفندق الموحشة.

غداً يعود مع زوجته إلى غوندامورا، حيث الجميع يحبه لشخصه... عليه أن يرمي المشاعر المتكلفة وراءه ويؤسس عائلة يسودها الحب.. لا شك أن ميغان ستُسر بقراره هذا، لا سيما وأنها لا تتحمل مشقات العيش تحت الأضواء..

- أحمل شيئاً لك يا جوني.

ودسَّ مغني الفرقة صورة في يده وهو يغمزه بعينه..

- إنها شقراء مثيرة ترتدي فستاناً أحمر قصيراً.. وصدرها عارم.

همَّ جوني برمي الصورة بعيداً حين سمع الشاب يضيف ساخراً:

- نعم! طلبت مني أن أقول لك إنها شقيقتك التي أضعتها منذ زمن بعيد.. لا تضيِّع الفرصة.. إنها فتاة رائعة!.

شقيقته التي أضاعها منذ زمن بعيد!.

وقع الخبر عليه وقع الصاعقة!.

أيُعقل أن تكون والدته قد أنجبت طفلاً سواه؟.

لم يعد يذكر أي شيء عن طفولته.. ولم يأتِ أحد على ذكر شقيقته أمامه.. لعلَّ عائلة ما تبنَّتها وهي لا تزال طفلة رضيعة... مما يعني أنها بلغت الآن السادسة والثلاثين من عمرها!.

حدَّق جوني في الصورة، فأدرك أنها ليست فتاة مراهقة، بل امرأة في عقدها الثالث ولا تشبهه بتاتاً.. ربما كانت من والد آخر.. شقيقته التي أضاعها منذ زمن بعيد!

أحسَّ بتشنُّج في معدته!. لم يخطر على باله يوماً أن ينبش أسرار الماضي ظناً

منه أنه الطفل الوحيد الذي تركته والدته يتيماً بعد موتها!.

صرخ أحدهم من خلف الكواليس:

- حان الوقت لتُذهلهم بصوتك يا جوني.

وتناهى إلى مسمعه صوت الموسيقى معلناً بداية العرض...

لم يجد مكاناً ليضع فيه الصورة إلا تحت قميصه.. فلفتت انتباهه الكلمات المدونة على قفا الصورة فيما كان يدُسها من تحت ياقة قميصه: «دعني أراك.. أرجوك.. أختك جودي إيليس» جودي... جوني.

أتراها حاولت مقابلته من قبل، ولم يُسمح لها بذلك؟. أم تراها مجرَّد معجبة مهووسة بفنه؟ لا وقت لديه للتفكير في الأمر.. عليه أن يصعد إلى المسرح..

شقراء مرتدية فستاناً أحمر قصيراً.. في الصف الأمامي!.

ذُهلت ميغان لدى سماعها أداء جوني.. فالهتاف تلاشى منذ اللحظة الأولى التي بدأ فيها بالغناء وكأن صوته أطرب الحاضرين فأسكرهم!.

لم يكن بحاجة للالتفاف حول خشبة المسرح أو إثارة حماسة الجمهور.. بل اكتفى بالوقوف في مكانه، تاركاً الحاضرين يتنهدون سروراً ويتمايلون على وقع الموسيقى، مصفقين له بقوة كلما أنهى أغنية ما. وابتسم تلك الابتسامة الساحرة التي تذوب القلوب!.

إنه نجم بكل ما للكلمة من معنى!. ولا شك أن رجولته النابضة أضافت إلى سحره جاذبية لا حد لها...

لم تستطع ميغان أن تمنع نفسها من اختلاس النظر إلى الشقراء المرتدية فستاناً أحمر قصيراً وهي تبذل كل ما بوسعها لتلفت انتباه جوني إليها... الأمر لم يرق لـ ميغان... وأحسَّت بانزعاج شديد من اهتمام جوني بتلك المرأة، والتفاته نحوها مراراً وتكراراً خلال الغناء...

ما الذي كانت تفعله؟ وما سبب اهتمامه بها إلى هذا الحد؟.

عاد القلق الذي تكافحه طويلاً ليسيطر عليها لا سيما وأن عينيها بحثتا عبثاً عن عينيه... فمن الصعب جداً أن يراها جوني وسط هذه الأضواء الباهرة المسلَّطة على المسرح، في حين أن الظلمة لفَّت القاعة...

لكنه كان يعلم حتماً بوجودها في القاعة برفقة صديقيه الحميمين وزوجتيهما...

وعندما حان الوقت ليؤدي أغنية الختام، نظر مباشرة إلى حيث كانوا يجلسون.. فتملكها إحساس بالراحة وهي تسمعه يقول إنه كتب هذه الأغنية لزوجته ليلة زفافهما- معلناً زواجهما أمام العالم أجمع...

على الرغم من انسجام الجمهور إنسجاماً مطلقاً، منذ اللحظة الأولى التي صعد فيها إلى المسرح، أثارت أغنية «العودة إلى الوطن» المشاعر بحدة، فساد الصمت العميق القاعة عند انتهائه من تأديتها قبل أن يدوي التصفيق ويهب الجميع واقفاً من مكانه، مطالباً بأن يغنيها من جديد..

إلا أن جوني اكتفى بالتلويح للجمهور مودعاً ثم غادر المسرح آبياً العودة ثانية! فبدأ الحاضرون يستعدون لمغادرة المكان والرضى بادٍ على وجوههم، مع إنهم فشلوا في إقناع جوني بمتابعة الغناء..

كانت ميغان تتلهف لمغادرة المكان إلا أنها تنبَّهت إلى أن أحد الحرَّاس كان يرافق الشقراء المشاغبة إلى خلف الكواليس.. فدق ناقوس الخطر في رأسها..

كانت لارا وكاترين وريك وميتش يتبادلون عبارات الإعجاب بأداء جوني، وهم يهمُّون بالخروج من القاعة.. غير أن ميغان كانت مشغولة البال، وعاجزة عن مشاركتهم الحديث.. فسألتهم وقد سيطرت عليها رغبة ملِحَّة بمعرفة ما يجري: «هل يمكننا الذهاب خلف الكواليس؟».

نزل الجميع عند رغبتها ودخلوا إلى غرفة تغيير الملابس، فوجدوا الشقراء المشاغبة تحيط عنق جوني بذراعها وجسدها ملتصق بجسده.

١١ - دعني أحبك!

عقدت الصدمة لسان الجميع عن الكلام... باستثناء الفتاة الشقراء..

أحسّت ميغان بالمهانة وهي تراها تتلوى أمام جوني بإغراء، مغدقة عليه عبارات المديح، ومبدية استعدادها الكامل للقيام بأي شيء - أي شيء يريده- لتبقى معه..

يا لها من فتاة مهووسة وقحة!.

إنه جوني من أعطى الأمر بإحضارها إليه، ليضبط بعدها بالجرم المشهود من دون أن تظهر على وجهه علامات الإحساس بالذنب..

رفع جوني يديه يبعد ذراعيها عنه، ثم خطا خطوتين إلى الوراء وقال لها بتفور ظاهر: «لم تصيبي الهدف الصحيح!».

احتجت الشقراء قائلة: «لكنك أرسلت في طلبي!».

اعتصر الألم فؤاد ميغان.. ليتها لم تدخل خلف الكواليس لترى هذا المشهد أمامها..

- ارحلي.. أرجوك!.

وأومأ برأسه نحو ميغان: «أنت زوجتي!».

التفتت الشقراء إلى الخلف لتلقي نظرة عجلى على المجموعة التي دخلت لتوها، مسلّطة عينيها على ميغان، تتفحصُها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، والإحباط الغاضب بادٍ على وجهها..

قالت لها بنبرة ملؤها الشر: «أظنك نصبت له فخاً ليتزوجك!».

- ارحلي!.

صرخ جوني متوعداً وقد ضاق ذرعاً بتصرفاتها المهينة، فبدا ممزقاً ما بين الإحساس بالألم والغضب الجامح...

لم تجد الفتاة أمامها سوى القبول بالهزيمة، فتقدمت نحو الباب متعثّرة وهي تقول له ساخرة: «لا أظنك تعرف ما الذي يفوتك يا جوني..».

علت وجهه إمارات الكبرياء المتحجر وهو يجيبها مدمدماً:

- بلى.. إنني أعرف جيداً ما يفوتني.

إلا أن كلماته ذهبت هباء لأن الشقراء غادرت الغرفة قبل أن تسمعها، مخلّفة وراءها فراغاً مروعاً...

لم ينبس أحد منهم ببنت شفة وكأنهم ينتظرون تفسيراً منطقياً، بعد أن تملكهم الإحراج لرؤيتهم مشهداً لم يرق لأحد منهم.

صحيح أنها لم ترغم جوني على الزواج بها، إلاّ أنها لم تشأ أن يفوته شيء من الحياة.. كيف يسعها أن تطلب منه الالتزام بزواجهما وهي تعرف تمام المعرفة بأنها تشكل عائقاً في طريقه؟.

لملم جوني شتات نفسه، ورمى ريك وميتش بنظرة ساخرة قائلاً:

- ادعت أنها شقيقتي التي أضعتها منذ زمن بعيد.

وكأنهما قادران على تفهُّم الوضع.

- حسبتها... صادقة!.

ولوى قسمات وجهه عاجزاً عن إيجاد كلمات ملائمة يقولها..

شقيقة؟.

تشوشّت أفكار ميغان وهي تحاول أن تدرج هذه الفكرة في إطار الظروف

التي مرّت بها، إلا أن جهودها كلها لإدراك السبب الذي دفع جوني لتصديق كلام تلك المرأة ذهبت سدىً.. ما الذي رآه في هذه المرأة؟.

أجابه ميتش بنبرة هادئة: «إننا عائلتك يا جوني».

أيّده ريك الرأي: «لطالما كنا كذلك!».

صحيح أن روابط الأخوّة تجمع بين الرجال الثلاثة الذين جاؤوا إلى غونداميرا في سن المراهقة- ولكن رابط الدم يبقى الأقوى..

هزّ جوني رأسه مسلماً بالعهد الذي قطعوه في ما بينهم، وعيناه مسلطتان على يد ميغان الموضوعة على بطنها، فأدركت غريزياً ما الذي يجول في رأسه..

كان هذا الطفل صلة الدم الوحيدة بالنسبة إليه.. إنه ابنه من لحمه ودمّه.. وليس أختاً غير شقيقة.

ولكن هل نسي أنه ابنها أيضاً؟ أم أن الأمر لا يعنيه بتاتاً؟

كان يريد هذا الطفل بكل جوارحه، كان يحتاج إلى هذا الطفل في حياته، ليملأ ثغرة، لم تستطع أن تتخيل مدى حجمها، لأنها لم توضع يوماً في موقف مماثل.. فصديقه ميتش، له أخت وأنجب صبياً منذ فترة ليست ببعيدة.. أما صديقه ريك فأنعم الله عليه بفتاة وصبي.. ولكن جوني بقي وحيداً، من الناحية البيولوجية، إن صح التعبير.

- هل تريدين مرافقتي إلى الفندق هذا المساء؟.

- نعم!.

كانت أعصابها مشدودة خوفاً من الشر المرتقب.. إلا أن رغبتها بمعرفة ما يدور في رأسه كانت أعظم..

أتراه ينظر إلى زواجهما على أنه فاشل أم ناجح؟.

يمكنه اللجوء إلى قوة ارادته للالتزام به.. لكن مسألة المشاعر مسألة مختلفة..

تنهّد جوني وقد بدا عليه الإرهاق:

- ريك.. ميتش.. يسرني حضوركما ولكن..

وأومأ بيديه إيماءة إعتذار..

أجاب ميتش على الفور: «سندعكما لوحدكما».

نصحه ريك قائلاً: «لا تدع هذا الأمر يؤثر عليك.. علينا أن ننسى الماضي».

هزّ جوني كتفيه استهجاناً: «أظنه خرج من قمقمه هذا المساء وانقضّ عليّ على حين غرّة.. ولكنني سأكون بخير..».

ولوّح بيديه اشمئزازاً فيما أسرع صديقاه يغادران الغرفة برفقة زوجتيهما، تاركين جوني وميغان يتحدثان على انفراد..

شعرت ميغان بأنها تفتقر إلى المؤهلات اللازمة لمواجهة هذه الأحاسيس التي لم يبح بها أمامها من قبل.. فلم تقدر على الارتماء بين أحضانه، بعد أن تنبهت إلى أنه لم يدعها لموافاته خلف الكواليس.

فوقفت أمامه صامتة، تنتظر منه إشارة تدل على ترحيبه بوجودها هنا.. صحيح أنه طلب منها البقاء، إلا أنه فعل ذلك أمام الباقين محاولة لاختبار وفائها له، وثقتها بكلامه..

كان جوني يراقبها عن بعد، يحاول أن يزن صمتها وسكونها...

أحسّت بموجة من الذعر تحملها وترميها على شواطىء التردد..

قال لها في نهاية المطاف وقد لوى فمه ساخراً:

- أظنك أسأت فهم الموضوع!.

استشاطت ميغان غيظاً وهي تتذكر الشكوك التي حثّتها على الدخول خلف الكواليس للتأكد من صحة الأمر.. فبعد ما رأته بأم عينها وسمعته بأذنيها، لم تقوَ على البوح بها، وقد خشيت أن يؤدي ذلك إلى الإساءة إلى علاقتهما.

ولكن عليها أن تقول شيئاً . . فلا بد أنه لاحظ ذهولها حين رأته مع المرأة الشقراء . .

- آسفة يا جوني . . خُيِّل إلي . .

- أنني كذبت عليك أليس كذلك؟ . . لم أفعل يا ميغان .

والتفت ليلتقط صورة كانت موضوعة على طاولة الزينة خلفه .

- أعطاني المغني الذي اعتلى المسرح قبلي هذه الصورة . . أردت أن أريها في سلة المهملات، ولكن العبارات المدوَّنة على قفاها أثارت انتباهي . .

ومد يده ليناولها الصورة، فوجدت نفسها مرغمة على أن تخطو خطوة إلى الأمام لتأخذها وتقرأ الكلمات التي حثَّته على التعرُّف إلى المرأة التي أدّعت أنها أخته الضائعة . .

بدت سوقية في الصورة كما في الحياة العادية . . فتبرُّجها مبالغ فيه، وملابسها مثيرة ووقفتها مغرية . .

- هل كنت تتمنى لو أنها أختك فعلاً؟

لم تستطع أن تُخفي اشمئزازها منها .

- أتقصدين القول إنها قد تكون مومساً؟

أسرعت الحُمرة تغزو خدَّيها لدى سماعها ملاحظته الساخرة . . كانت تشعر بالخجل من نفسها، لتناسيها حقيقة من الصعب عليه نسيانها . فحاولت أن تعتذر منه على زلَّة لسانها :

- أقصد . . لا أظنها تشبهك البتة .

- من أين لي أن أعرف كيف تبدو أختي غير الشقيقة؟ .

أخذت نفساً عميقاً وقد شعرت وكأنها تغرق في مياه عميقة جداً لن تتمكن من خوضها . .

لا شك أن والدته لم تعرف من هو والده الحقيقي . . فعادت تعتذر منه من جديد، وقد دب الذعر في أوصالها :

- آسفة يا جوني . . أظن أن ريك وميتش أدرى مني بماضيك . . ولكنك في نظري جوني . . جوني العظيم الشأن . .

توقفت عن الكلام وهي تهزّ برأسها، متأففة من استخفافها الواضح بماضيه، في الوقت الذي كان تأثيره السلبي عليه يقضّ مضجعه .

- ما الذي يسعني أن أفعله لأخفف عنك؟ .

كانت تعي أن سؤالها لم يكن في محله، لكن الكلمات خرجت من فمها قبل أن تتمكن من كبحها . .

شد جوني كتفيه إلى الخلف، وأخذ نفساً عميقاً وقال: «انسي الأمر!» .

كان كلامه أشبه بأمر أعطاه لنفسه . . أخفض عينيه ليقابل عينيها مضيفاً :

- كان ريك محقاً . . علينا أن ننسى الماضي . . كيف تركت نفسي انجرف وراء هذه السخافات؟ .

وانتزع الصورة من يدها ومزَّقها إرباً إرباً ورماها في سلَّة المهملات، ثم التفت نحوها وهو ينظر إليها بفظاظة :

- لن أشارك في الحفلات الموسيقية بعد اليوم يا ميغان . . لا تطلبي مني أن أفعل ذلك مهما كانت الأسباب .

- آسفة! .

كان اعتذارها غير مجدٍ- وخالياً من أي معنى- ولكن ما الذي يسعها قوله؟ .

- هيَّا بنا نغادر هذا المكان! .

رافقهما الحرَّاس إلى سيارة الليموزين . وصعدوا معهما فيها، مما حال دون تبادلهما الأحاديث أو اللمسات . .

وتمنّت ميغان في سرّها لو أنه يمسك بيدها . . لكنه لم يفعل . . . وأحسّت وكأن التوتر المنبعث منه مفعم بلهفة للانتهاء من هذا الموضوع .

صعد الحرّاس معهما إلى غرفة الفندق ليتأكدوا من أنها خالية ، ثم انسحبوا تاركين ميغان وجوني بمفردهما . .

وقبل أن تقدم ميغان على أي خطوة لإخراجه من مزاجه النكد ، قال لها :

- أريد أن أستحم .

وتوجه إلى الحمّام وهو يضيف بلا اكتراث :

- خذي راحتك . . يمكنك أن تتصلي بخدمة الغرف وتطلبي العشاء . .

وتركها لوحدها في ذلك الجناح الفسيح الفخم ، الموحش . .

أتراه عانى من الوحدة في هذا المكان ، وكابد على نفسه ليحميها ؟ .

أتراه عانى من وحدة أعظم ، حين أظهرت له عدم ثقتها به ، فتخلّت عنه في اللحظة التي كان فيها بأمس الحاجة لتخفف عنه وتؤكد له أنها ستعوض عليه كل ما فاته ؟ .

حين عاد إلى الغرفة فكرت في انها غير قادرة على فعل شيء . لكن خوفها من فقدان الفرصة الأخيرة لتعزيز الإلفة بينهما دفعتها إلى بذل جهد حثيث للفوز بقلبه . .

أرغمت ميغان رجليها على حملها إلى السرير حيث كان مضطجعاً . قررت ألا تسمح للذعر بأن يسيطر عليها أو للضعف بأن يجد طريقه إلى ردات فعلها ، إن حاول جوني صدّها . .

رفع فجأة رأسه وفتح عينيه فرآها واقفة قرب السرير . . .

- لا بد أنك مرهق .

قالت له ذلك ، وهي ترميه بنظرات ملؤها التعاطف .

وراحت تدلك كتفيه وعضلاته المشدودة ، وقد خانتها شجاعتها ولم تشأ أن تنظر إلى وجهه خشية أن تراه يتعذّب من تأثير لمساتها . .

لم يقل شيئاً أو يأتِ بأي حركة لصدّها ، فأسرعت تدلّك كتفيه وعضلاته وخفقات قلبها المتسارعة تدوي في أذنيها . .

«عليّ أن أجعله يشعر بأنه محبوب ، ليتخلّص من إحساسه بالوحدة» .

ولكن كيف يسعها أن تلبّي حاجاته ؟ لم تكد تطرح هذا السؤال على نفسها حتى خطرت على بالها فكرة مجنونة : لطالما نظر إليّ نظرة الأخ لأخته الصغرى .

تملكها الخزي في الحال وقد أدركت أنها شبّهت نفسها بالشقراء التي لم تخف عنه استعدادها للقيام بكل ما يريد لتبقى معه . .

- ميغان ! .

كان صوته أجش ! .

- إنك زوجتي ! .

وأمسك بيديها مضيفاً .

- زوجتي ! .

- دعني أكون زوجتك بكل معنى الكلمة .

كانتا عيناها تناشدان العذاب الغاضب في عينيه :

- آسفة لأنني أسأت فهم الأمور . . آسفة لأنني لا أملك أدنى فكرة عمّا تحمله الحفلات الموسيقية من مشقّات . . لم أكن أعرف ما الذي تنطوي عليه . .

هزّ برأسه والكرب بادٍ عليه ، ثم أطلق صرخة أشبه بأنين ألم . .

وكم كان فرحها عظيم حين ضمّها بين ذراعيه بقوة دافناً رأسه في شعرها .

- لا حاجة لأن تعرفي شيئاً . . انتهى الموضوع .

ومرر أصابعه بين خصلات شعرها وأرجع رأسها إلى الخلف لتقابل عيناه

عينيها . .

- وإيّاك أن تظني أنني قد أفضّل أي امرأة أخرى عليك . . هل سمعتني يا ميغان؟ .

- آسفة! .

- تباً! قولي نعم . . نعم . .

- نعم! .

صبّت ميغان أحاسيسها المشوشة كلها في قبلة تخفق بلهفة متقدة . . إنه توق ملّح وقوي أزال شكوكها كلها . .

أراح جوني رأسه على صدرها ، فيما راحت ميغان تداعب شعره والبهجة تغمرها . . .

رفع رأسه قليلاً ليمرر يده برقة على بطنها ثم قال هامساً :

- نسيت أمر الطفل! .

- لا عليك! .

وابتسمت في سرّها مدركة أن شوقه إليها كان قوياً جداً إلى حد أنه نسي أمر الطفل . .

- لو شعرت بالانزعاج لقلت لك! .

- ترى كيف سيكون هذا الصبي؟

- ماذا لو كانت فتاة؟ .

- هم . . ! .

إنها همهمة رضا . . . فأحسّت بجسدها كله يهمهم معه . .

لم تشأ ميغان أن تقول شيئاً يُفسد الإلفة التي نشأت بينهم . .

أكّد جوني لها أنه لا يريد امرأة سواها ، وهذا يكفيها . .

صحيح أنها لم تكن واثقة تماماً من رغبته بالتخلّي عن مهنته ، لكن الزمن كفيل بأن يغير رأيه . . وما عليها سوى أن تحترم قراره من دون جدال أو تذمُّر .

فمن الممكن أن يحتاج إلى أشياء لا يجدها فيها أو في غونداموا أو في طفلهما . .

غالبه النعاس بين ذراعيها . . فراحت تداعب شعره بحنان ، وقد عزمت على أن تلعب دور زوجته على أكمل وجه . شريكته وحبيبته وصديقته ، وكاتمة أسراره . .

لم تعد تريده أن يشعر بالوحدة بعد اليوم .

www.elromancia.com

١٢ - آخر كاوبوي

- وصلنا إلى المنزل.

حملت نبرة صوته رضىً نابعاً من القلب فيما دلّت ابتسامته العريضة على البهجة الصادقة!

كانا يحلّقان بالطائرة فوق سقيفة الصوف، التي دوّن عليها اسم غونداموورا بأحرف عريضة...

منذ ساعات الصباح الأولى، وجوني لا يتكلم إلا عن العودة إلى المنزل، من دون أن يأتي على ذكر الحفلة الموسيقية، والمشاكل التي تأتت عنها.. ففهمت ميغان أنه قرر أن يطوي صفحتها إلى الأبد..

لم تكن واثقة تماماً من صحة قراره، غير أنها لم تشأ أن تطفىء وميض السعادة في عينيه..

بادلته الابتسامة بأخرى تشع فرحاً وقالت له:

- علينا أن نحط أولاً بأمان.

انفجر جوني ضاحكاً وبدأ يهبط بالطائرة بإتقان لا يعكره إلا الأكمة المنتشرة على طول المهبط.. فعلّق قائلاً، بينما كان يطفىء المحرك:

- علينا أن نعيد تمهيد المهبط..

مما يعني أنه سيستأجر خلال الأسابيع المقبلة آلة لتمهيد الأرض مهما بلغت أجرتها... فلم تحاول ميغان التأفف من إنفاقه الكثير من المال على المزرعة، طالما أن ذلك يجعله سعيداً.

- بقي أمر آخر.

أعلن ذلك فيما كان يهمّان بالنزول من الطائرة:

- سأشتري طائرة هيليكوبتر وأطلب من إميلي أن تعلمني القيادة.

- لمَ تريد طائرة هيليكوبتر؟.

- إنها أفضل من الطائرة العادية للقيام بجولة حول الممتلكات.. علاوة على ذلك، يمكنني الهبوط بها حيثما أشاء.. ومن يدري؟ قد تغدق علينا السماء بالأمطار الغزيرة، السنة المقبلة... مما يعني أن الطقس قد يكون عاصفاً في شهر كانون الثاني، موعد ولادة الطفل.. وعلينا أن نتمكن من نقلك إلى المستشفى من دون تأخير.. فإذا تحوّل المهبط إلى مستنقع بفعل الأمطار، سنحتاج إلى طائرة هيليكوبتر..

ضحكت ميغان وهي تسمعه يضع خططاً للمستقبل:

- افعل ما يحلو لك... ولا شك أن إميلي ستسر كثيراً بتعليمك الطيران.

- أحسنت.. حان الوقت لنلتهم حلوى إيفلين اللذيذة بالجزر.

كانت إيفلين قد أعدت له الحلوى المفضلة لديه... فأخذها بين ذراعيه وطبع قبلة على خدها قائلاً لها: «أحب الجلوس في مطبخك يا إيفلين».

وجلس إلى المائدة يستعد لارتشاف الشاي.

- أشعر فيه وكأنني في منزلي!.

- أرجوك يا سيد جوني!.

وشمخت بأنفها مزهُوَّة بنفسها.. فيما كانت تنظر إليه بعينين تشعّان حباً:

- أظنك تؤمن بالقول المأثور «إن معدة الرجل هي الطريق الأفضل إلى قلبه»... يمكنك أن تحظى هنا بوجبات منزلية شهية بدلاً من طعام الفنادق المقرف!.

- لا أحد يجيد تحضير هذه الحلوى مثلك يا إيفلين.

وقضم قضمة كبيرة من القطعة الموضوعة أمامه.

- شكراً.. هذا لطف منك.. قل لي، كيف كانت الحفلة الموسيقية؟.

هزّ كتفيه بلا مبالاة: «كانت ناجحة.. حضرها عدد هائل من الناس.. وجمعنا أموالاً طائلة لإعانة المناطق المصابة بالجفاف».

تنهدت إيفلين من شدة الإحباط وقد أثار تقريره الموجز سخطها.. فنظرت إلى ميغان، تناشدها أن توضح لها سبب هذا الموقف.. فأسرعت تقول لها ساعية لإرضاء فضولها:

- كان أداؤه رائعاً وأطرب جميع الحاضرين بصوته وسحر غنائه.. وعند انتهاء الحفل، وقف الجميع وراحوا يصفقون له، طالبين منه متابعة الغناء.. لم أرَ في حياتي شيئاً مماثلاً.. كان المشهد غاية في الروعة!.

تفاجأ جوني لدى سماعها تعبّر عن إعجابها الشديد بفنه.. فرفع حاجبيه ذهولاً وكأنه لم يتوقع أن تخرج هذه الكلمات من فمها..

أعلنت إيفلين بنبرة مفعمة بالسعادة:

- لا بد أن يطلبوا منه معاودة الغناء... فهو أفضل مغنٍ في العالم.

- يمكنهم شراء اسطواناتي والاستماع إليها ساعة يحلو لهم..

قال ذلك بنبرة باردة ثم ابتسم لها ابتسامة ساحرة وأضاف:

- يمكنك الحصول عليها مجاناً يا إيفلين.. والآن، هلاّ أخبرتنا ما الذي حصل في المزرعة خلال غيابنا؟.

سلّمت ميغان في سرّها بأن الموضوع انتهى بالنسبة إليه ولا يريد فتحه ثانية..

مع مرور الأيام، بدأ الحمل يتعبها..

من جهته، اشترى جوني طائرة هيليكوبتر، وبدأ يتعلم القيادة، من دون أن يقصر في إدارة غوندامورا، ملحاً عليها لتلازم البيت وتعتني بنفسها وبطفلها..

غالباً ما كانت تصله رسائل عبر البريد الألكتروني من وكيل أعماله في لوس أنجلوس.. فيقرأها ويرد عليها ثم يمحوها من دون أن يناقش مضمونها معها أو يأتي على ذكرها أمامها.. مما أثار سخطها بشدة..

فتكتمه الشديد حول مهنته مبالغ فيه بعض الشيء..

وفي أحد الأيام وجدت نفسها تسأله: «ماذا عن تلك الرسائل التي تصلك عبر البريد الإلكتروني؟ أهي عروض عمل؟».

- قلّما يهمني أمرها يا ميغان.. لم أعد أكترث للأمور الفنية.

وابتسم لها ابتسامة ساخرة وأضاف:

- سيدرك وكيل أعمالي جدّية قراري عاجلاً أم آجلاً.

لم تجادله، تاركة له حرية القرار، آملة أن يبقى راضياً عن حياته هنا.

صحيح أنه يتوق حالياً ليصبح أباً، ولكن بعد مرور بعض الوقت..

هزّ كتفيه لا مبالاة وقال: «إن هذه الرسائل هي عبارة عن عقود طويلة الأمد مع شركات تسجيل، ينبغي إعادة توقيعها... فلا داعي للقلق».

- لست قلقة.

- جيد.

وابتسم لها واستطرد يقول:

- لا أريد أن أراك قلقة أبداً... أحب العيش معك في هذا المكان.

بدا صادقاً في كلامه، ففضلت ميغان ألا تثير هذه المسألة ثانية.

دعا جوني أفراد العائلة جميعاً إلى المزرعة بمناسبة حلول عيد الميلاد..

جرت العادة على أن تقام أمسية عيد الميلاد في الساحة الرباعية الزاوية، بمشاركة جميع المقيمين والعاملين في غونداموورا..

ارتدى جوني ملابس بابا نويل ووزّع الهدايا التي اشتراها بنفسه وكدّسها تحت شجرة عيدة الميلاد، على الحاضرين.. فتساءلت ميغان في سرّها كم عيد ميلاد مر عليه وهو يعاني من الشقاء والوحدة..

وتذكرت في تلك اللحظة التأثير الذي تركه والدها، يوم فتح قلبه وعقله ومنزله لثلاث صبية، وقلب حياتهم رأساً على عقب.. فأرشدهم إلى طرق الحياة الصحيحة.. طرق توصلهم إلى اكتشاف حقيقة ذاتهم.

- وحده السيد جوني قادر على أن يحل محل السيد باتريك!.

قالت لها إيفلين ذلك هامسة، وهي تتأمل بكل فخر، الصبي المحبب إلى قلبها، يلاعب الأولاد ويختار لكل واحد منهم الهدية التي تليق به.

ولكن أتراه يريد حقاً أن يحل محل باتريك؟.

تذكّرت ميغان الكلام الذي قاله لها ميتش يوم ثارت ثائرتها على وصية والدها، ونعتت جوني بنجم موسيقى البوب التافه.

- ألصقت به صفة سطحية يا ميغان.. فـ جوني لم يتوصل بعد إلى تحقيق ذاته!.

نعم، إنها صفة سطحية.. فـ ميتش و ريك وباتريك عرفوا جوني على حقيقته.. وعليها أن تتعلم الكثير بعد عن شخصيته، علاوة على توقه الشديد ليصبح أباً..

ولكن أين تراه سيحقق ذاته؟ لا أحد يعلم.. لعل جوني نفسه لا يعرف الرد بعد.. جلّ ما يمكنها أن تفعله هو أن تتضرع إلى الله ليتمكّن جوني من تحقيق ذاته في غونداموورا..

اشترت ميغان له هدايا عديدة بمناسبة عيد الميلاد، لتعوّض عن تقصيرها

معه خلال السنوات الماضية.. فاختارت له قبعة كبيرة، وحزاماً جلدياً حفرت عليه حرف «غ» نسبة إلى غونداموورا، وكوباً للقهوة طبعت عليه عبارة «بابا»، وحمّالة يضع فيها الطفل إن أراد اصطحابه في جولة في المزرعة، وعلبة من الشوكولا للتحلية...

أعدت له ميغان هدية أخرى أكثر أهمية، إلا أنها احتفظت بها لتقدمها له حين يصبحان على انفراد..

قدّم لها جوني خاتماً من اللؤلؤ اشتراه سرّاً خلال رحلة شهر العسل إلى برومي.

أعجبها الخاتم كثيراً وأحسّت وكأنه أضفى إلى عقد اللؤلؤ الذي اشتراه لها بمناسبة عيد ميلادها طابعاً شخصياً وخاصاً...

بعد إنتهاء مأدبة الغداء العامرة، يوم عيد الميلاد، لجأ الجميع إلى غرفهم هرباً من حر الظهيرة، فاصطحبت ميغان جوني إلى غرفة المكتب..

وعلى الرغم من خوفها من أن يرضخ لمشيئتها تحت وطأة الضغط فحسب، أبت أن تتراجع عن قرارها... فأعطته مغلفاً وضعت فيه صكّاً بمنحه اثنين بالمئة من حصّتها في غونداموورا... صكاً يجعل منه الآمر الناهي في المزرعة..

حدّق جوني بالصّك ثم قطّب حبينه، فدب الخوف في قلبها....

سألها والحيرة بادية على وجهه. «لماذا؟».

- من دونك، لما تمكّنت غونداموورا من البقاء.. وأنت الآن زوجي، ويستحسن أن تتولى زمام الأمور.

هزّ جوني برأسه: «لكن وصية باتريك..».

- اختارك والدي لتلعب دور الفارس الشجاع الذي يهب لإنقاذ الآخرين... وأظنك اتقنت لعب هذا الدور.. لكن الظروف تغيرت، وتزوجنا.. ولو كان والدي حيّاً لبارك هذه الهدية...

وشاب الريب حجتها : «ألديك مانع؟».

- كيف لي أن أمانع؟.

وبحثت عيناه عن عينيها :

- هل أنت واثقة يا ميغان؟ أعرف كم تعني غونداموراً لك.

توهج خدّاها خجلاً . . كم عاملته بكراهية وازدراء بسبب وصية والدها، رافضة السماح له بالتعدي على ممتلكاتها . .

- كنت مخطئة يا جوني . . أخطأت بشأن أمور كثيرة.

كانت ابتسامة الاعتذار التي إرتسمت على ثغرها ساخرة بعض الشيء!.

- أظهرت لي مدى خطأي وأريد أن أعوض ما فعلته بك.

وتوسّلت إليه عيناها ليسمح لها بأن تفعل ذلك . .

- ميغان!.

أمسك كتفيها بيديه وفي عينيه نظرات أعادت الاطمئنان إلى قلبها.

- إنك ابنة باتريك . . ولا داعي للقيام بذلك . . لا أشعر بالمهانة أبداً لأنك صاحبة الحصّة الأكبر في غونداموراً . . . إنها هدية كبيرة ولا أستطيع قبولها . . لا أظن أنها من حقي!.

- ولكنني أريدك أن تقبلها مني!.

لعلها تحاول لا شعورياً تقييده بها، من خلال إرهاقه بمسؤوليات جمّة تمنعه من الرحيل بعيداً عنها . . أو تراها تريد التخلّص من إحساسها بعدم الاستقرار؟.

تردد قليلاً، محاولاً أن يقارن رغبتها بمشاعره . . فقال لها في نهاية المطاف :

- ليكن واحداً بالمئة لنصبح شريكين متساويين . . يمكنني، عندها، العيش بهناء . .

غمرها الارتياح : «شريكان . . أجل».

ودسّت ذراعيها حول عنقه تشده نحوها لتطبع على ثغره قبلة امتنان . .

تولى ميتش تحضير الأوراق القانونية لنقل الملكية . .

ولدت طفلتهما في بداية الشهر التاسع . . كانت طفلة فاتنة أطلقا عليها اسم جينفر، الذي اختصره والدها بـ جيني . .

بقي الجفاف مسيطراً على المنطقة . . فلم يستعمل جوني طائرة الهيليكوبتر لنقل ميغان إلى المستشفى في بورك . . ولكن مع عودتهما إلى غونداموراً بدأت الأمطار بالهطول غزيرة، واستمرت لأكثر من شهرين.

فعادت الحياة تدب في المنطقة، التي بقيت تحتضر فترة طويلة . .

- إنها معجزة حقاً، أليس كذلك؟.

قال جوني ذلك، فيما كانا واقفين على الشرفة الأمامية ذات صباح، يتأملان الأرض المعشوشبة الممتدة إلى الأفق . .

أجابته ميغان هامسة : «إنها ولادة جديدة!».

نظر جوني إلى ابنتهما القابعة بين ذراعيه :

- أتيت إلى العالم حاملة معك المطر يا جيني . . . ستتمكّن الآن من بناء جيش من الماشية، والعديد من الحملان لتلعبي معها . .

ضحكت الطفلة ضحكة خافتة، سعيدة بخطط والدها . . شأنها شأن والدتها . . فكلامه أزال شكوكها كلها وأكد لها أنه سعيد بالعيش معهما في غونداموراً . .

غير أن هذه الشكوك عادت لتظهر يوم شاهدت فيلم جوني . .

شهد الطقس تحسّناً ملحوظاً فأتت العائلة إلى المزرعة لقضاء عطلة عيد الفصح، بعد أن ألحّ عليهم جوني، ليتباهى بابنته أمامهم.

أحضر ريك مفاجأة معه- إنها نسخة عن فيلم «آخر راعي بقر» الذي عرض في الولايات المتحدة الأميركية وحقق أرباحاً هائلة.

قال له ريك فخوراً به: «قضيت عليهم يا جوني.. سافرت إلى لوس أنجلوس في رحلة عمل، وسمعت أكثر النقّاد تحفظاً ينادون بك ممثلاً بارعاً وجديراً بجائزة الأكاديمي».

اعترض جوني قائلاً: «كلامك مبالغ فيه».

- سنرى!.

وابتسم ميتش إبتسامة عريضة وأضاف:

- إنني أتحرّق شوقاً لرؤية جوني واين ممتطياً حصانه من جديد.

انتظر الجميع بلهفة انتهاء العشاء، ليدخلوا إلى غرفة الجلوس ويشاهدوا الفيلم.. كان الأولاد قد خلدوا إلى النوم ولم يعد هنالك من حجّة لعدم مشاهدته، مع أن ميغان عجزت عن قمع المخاوف التي أثارها تعليق ريك..

إن كان جوني ممثلاً جيداً، فمن الأفضل ألا ترى أو تعرف شيئاً..

فبعد أن حقق طموحاته، تخلّى عن مهنة الغناء.. ولكنه قد يجد في التمثيل نجاحاً مختلفاً ويسعى لتسلّق أعلى قممه..

كانت الأشهر القليلة الماضية في منتهى السعادة.. ولم تشأ ميغان أن يفسد شيء عليها سعادتها..

ولكن أليست أنانية بعض الشيء لاهتمامها بمشاعرها أولاً، من دون أن تأخذ رغبات جوني بعين الاعتبار؟.

إن لزم الأمر، سترافقه حيثما ذهب...

أمسك جوني بيدها فيما كان يهمّان بمغادرة غرفة الطعام، وقال لها هامساً: «هل أنت موافقة على ذلك يا ميغان؟».

نظرت في عينيه اللتين بدا فيهما القلق.. إنه حريص على مراعاة

مشاعرها!.

- طبعاً!.

وابتسمت له ابتسامة تدل على رفضها أن ينشأ خلاف بينهما بسبب الفيلم أو بسبب أي موضوع آخر..

- ألديك أي مشكلة حيال ذلك؟.

وتساءلت في سرّها ما إذا كان مصمماً على التكتم حول ما فعله قبل زواجهما..

ابتسم لها ابتسامة عريضة: «لم أشاهد نفسي ألعب دوراً سينمائياً. أخشى ألا يكون عند حسن ظن الجميع؟».

- إنك رائع على المسرح يا جوني..

وشدّت على يده وأضافت: «إنك تملك قدرة هائلة على تحريك أحاسيس الناس.. لا شك أن تأثيرك سيكون مماثلاً في الفيلم».

رماها بنظرة غريبة ثم هزّ كتفيه لا مبالاة وقال:

- لا تنسي يا ميغان أنه مجرد فيلم، اتفقنا؟.

ردت بحزم: «اتفقنا!».

لا بد أنه يلمّح إلى البطلة.. فالتوتر المنبعث منه يدل على أن مشاهد حب تجمع بينهما. لكنها لن تدع الغيرة تجد سبيلها إلى قلبها... فالفيلم صور قبل زواجهما، ولا شيء يزعزع إخلاصه لها..

ما إن جلسا في المكانين الشاغرين اللذين تركا لهما على الكنبة، حتى أسرع ريك يشغل جهاز الفيديو.. فظهر راعي بقر ممتطياً حصانه يتقدم نحو إحدى المزارع..

أخذ ريك وميتش يمازحان جوني بملاحظاتهما الساخرة التي تقبّلها بكل رحابة صدر.

غير أن الجميع لزم الصمت حين وصل راعي البقر إلى المنزل ودخل إليه..

ساد الصمت في الفيلم أيضاً.. لا حوار.. ولا موسيقى خلفية.. بل صورة امرأة تعرضت للضرب والاغتصاب والقتل، وإلى جانبها جثتي طفلين غارقين في الدماء..

كان وقع الصدمة قوياً جداً على راعي البقر.. فأحسَّ جميع الحاضرين بالرغبة الجامحة التي سيطرت عليه للعثور على الفاعلين.. إنها رغبة متوحشة امتزجت برقة بالغة فيما كان ينتزع من قبضة زوجته منديلاً من القماش الأحمر المنقط بالأبيض... فسحقه بين يديه، وانتقل المخرج بالصورة إلى مشهد آخر ظهر فيه راعي البقر واقفاً أمام ثلاثة قبور، ليعود بعدها ويمتطي حصانه ويرحل بعيداً..

صدحت عندها الموسيقى.. موسيقى تناغمت مع وقع حوافر الخيل..

التقط ريك أنفاسه وقال: «رباه! إنه مشهد قوي للغاية!».

غير أن المشاهد اللاحقة كانت أكثر قوة بالنسبة إلى ميغان! إذ لاحق راعي البقر أفراد العصابة فرداً فرداً وواجههم وعاقبهم بعنف وقتلهم.. ولم يبق إلا قائدهم الذي كان يضع منديلاً أحمر منقَّط بالأبيض على قيد الحياة.. فبعد أن رأى رجاله يحتضرون، الواحد تلو الآخر، أصيب بالذعر وفر هارباً..

خلال مطاردته، أصيب راعي البقر بجروح بالغة، إلا أنه تمكَّن من متابعة طريقه ليصل قرب أحد المنازل ويفقد وعيه عند بابه..

عندما استعاد وعيه، رأى أمامه ولدين صغيرين، تحركا في أعماقه مشاعر الحزن.. فأسرعت المرأة التي استقبلته في منزلها، وهي أرملة تناضل من أجل البقاء، تضمِّد جروحه..

كان موقفها منه خير دليل على أنها تجد فيه دخيلاً غير مرحب به، سيزيد من ثقل أعبائها.. غير أن تحفُّظها ما لبث أن أخذ يتلاشى وهي تراه يعامل ولديها بمنتهى اللطف.. ومع استعادة راعي البقر عافيته، بدأ الإعجاب ينمو

بينهما، إلى أن قررت الأرملة أن تسلمُه نفسها بكليتها، في الليلة التي سبقت رحيله، وهي تدرك تمام الإدراك أنه قد لا يعود أبداً..

كان المشهد في غاية الروعة... فأخلاقيات راعي البقر لا تسمح له بقبول ما تعرضه عليه، والأرملة تغويه بكل ما لديها من مفاتن، ليستسلم للرغبة التي سيطرت عليهما معاً..

صباح اليوم التالي، لحق الولدان براعي البقر إلى الخارج، يتوسلان إليه أن يعود قريباً.. وكانت الأم تحدِّق به وعلى وجهها امارات الاستسلام..

لاحق راعي البقر زعيم العصابة ولكنه لم يلجأ إلى العنف بل أعدمه بطريقة مروعة.. ورمى المنديل الأحمر المنقَّط بالأبيض على وجهه الميت باشمئزاز..

كانت تعابير وجه راعي البقر توحي بأنه يقول في نفسه: «انتهت مهمتي.. ماذا عليّ أن أفعل الآن؟»..

عاد إلى مقابر عائلته.. فأحسَّ بالألم يمزِّق فؤاده وهو يودعهم وشمس المغيب تلقي بظلها على الصلبان التي تعلو القبور الثلاثة..

وفي المشهد الأخير، يلمح ولدا الأرملة راعي بقر يقترب من مزرعتهم، على ظهر حصانه.. فيهرعان لمناداة والدتهما التي تقف لاستقباله عند مدخل المنزل، وعلى وجهها عبارات الدهشة..

ترجَّل راعي البقر عن حصانه، وحمل الولدين بين ذراعيه ثم سار بهما نحوها..

كانت ميغان لا تزال تكفكف دموعها، حين أطفأ ريك جهاز الفيديو، شأنها شأن شقيقتها وكاترين ولارا..

- لست أبالغ يا جوني.. جعلتني أعيش القصة معك!.

بدا جلياً أن ميتش بذل ما في وسعه ليخرج هذه الكلمات من فمه!.

وافقه ريك الرأي وهو يهز برأسه ذهولاً: «نعم! صحيح أن القصة مألوفة

وسبق وعرضت آلاف المرات - إلا أنك جعلتها شخصية جداً . . إنه فيلمك يا جوني وجعلت منه تحفة فنية . . لا عجب أن يغدق النقاد عليك بالمديح!».

أجاب جوني هازئاً: «أظن أن عنصر المفاجأة لعب دوراً هاماً!».

سألته لارا بنبرة هادئة: «ما شعورك حيال الأمر؟».

إبتسم لها ابتسامة عريضة:

- في الحقيقة، أشعر وكأن أحدهم فاجأني عارياً . . ليتني لم أمثل هذا الدور.

ثم هبَّ واقفاً من مكانه وساعد ميغان على النهوض أيضاً وأضاف:

- أرجو منكم المعذرة . . سأخلد وزوجتي إلى السرير . . غالباً ما تستيقظ جيني في الليل!.

«زوجتي . . جيني . . طفلته».

تنبهت ميغان إلى الصمت الذي خيم على الغرفة بعد خروجهما . كما لم يغفل عنها نبذ جوني لأدائه التمثيلي، على الرغم من أنه كان غاية في الروعة، ومن الممكن أن يجعل منه ممثلاً محترفاً.

اتخذ جوني قراراً باعتزال الفن من أجل زوجته وطفلته . . فأذعنت ميغان لإرادته من دون جدال، إلا أنها لا ترضى أن يتخلى عن موهبته العظيمة بهذه السهولة . .

إنها تضحية كبيرة وخسارة فادحة . . عليها أن تتحدث معه في هذا الشأن . . عليها أن تفتح الأبواب المغلقة.

وتذكَّرت قول شكسبير الذي تلاه على مسمعها غداة جنازة والدها:

«رجل واحد يلعب أدواراً عدة».

لا أحد سوى جوني إيليس قادر على القيام بذلك.

١٣ - طلب واحد فقط!

جلست ميغان على حافة سريرهما، تراقب زوجها وهو يخلع ملابسه، فيما كان المشهد الذي لعبه مع الأرملة في الفيلم يمر في رأسها . .

سألته فجأة: «لِمَ تشعر بالإحراج؟».

رماها بنظرة حذرة، وكأنه يريد إخضاعها لتقويم شامل.

هل يتوقع أن تنشب خلافات بينهما؟

أكدت له بحرارة: «كان ميتش محقّاً . . جعلتنا نعيش القصة معك . . لا أظن أن العديد من الممثلين يتمتعون بهذه الموهبة . . إنك تستحق الجوائز يا جوني . . ».

ظهرت ابتسامة ملتوية عند طرف فمه: «لم أكن أمثل فعلاً . . لقد صببت كل المشاعر التي خالجتني حيال أمور عدة في هذا الدور . . ».

- ما هي الأمور التي تتحدث عنها؟.

تسارع نبضها وقد أوحى لها كلامه بأن الفيلم عكس تجربته الشخصية في الحياة . .

هزَّ برأسه: «لا علاقة للأمر بحياتنا معاً!».

عاد يحبط عزيمتها . . فصرَّت على أسنانها مصممة على النضال حتى النهاية هذه المرة.

- أريد أن أعرف كل شيء عنك - لا أريد الاكتفاء بالجزء الذي تراه مناسباً

لي.

رماها بنظرة قاسية: «كلا يا ميغان.. قلت لي مراراً وتكراراً إن غوندامورا هي عالمك كله، ولا تريدين التعرف على أي عالم آخر».

إنه يذكّرها بكلماتها..

- آسف لأن الفيلم أقلق راحتك.. ولكن لا تنسي أنني صورته قبل زواجنا.

إنها الأفكار عينها التي طرأت على رأسها حين شاهدته!.

غمرت الكآبة قلبها وقد أدركت أن جوني لم ينسَ الخطوط العريضة التي حددتها له.. فإصراره على استمرار زواجهما، دفعه إلى بذل قصارى جهده للالتزام بها، متفادياً كل ما يعرّض حياتهما معاً للخطر، عازماً على إبقاء الأمور على ما هي عليه، من دون إثارة المتاعب..

لا شك أن ذكريات طفولة جوني إيليس الأليمة المدفونة في عمق أعماقه، تحثّه على القيام بكل ما ينبغي القيام به للبقاء والازدهار في عالم عدائي..

خلع جوني ملابسه واستلقى على السرير ثم مددها قربه وابتسم لها مطمئناً: «لا شك أنك مرهقة!».

صرخت في وجهه: «كفى!».

رفع حاجبيه دهشة لدى سماعه اعتراضها الصارم..

- كف عن معاملتي بتنازل!.

وتوسّلت إليه عيناها أن يفهمها: «صحيح أن مهنتك كانت تشكل في نظري، خطراً على علاقتنا، ولكنني نضجت خلال هذه السنة التي مرّت، واعلم جيداً أنني أخطىء كثيراً إن وضعت رجلاً مثلك في قفص».

قطّب جوني جبينه: «لا أشعر وكأنني موضوع في قفص في غوندامورا.. فالمكان شاسع.. والتحديات مختلفة.. وأشعر بسعادة كبرى في

مواجهتها..».

مدّت يدها تداعب خدّه وفي داخلها رغبة ملحة بالتغلغل تحت بشرته وإزالة الطبقات التي بناها على مر السنين ليحتمي بها..

- أحبك يا جوني وأريد أن أشاطرك حياتك كلها وليس الجزء الذي تختاره بنفسك... وأعدك بأن لا أتخلى عنك، مهما بدت لي غير مألوفة... أرجوك.. أكسر الحواجز التي بنيتها ودعني أتسلل إلى ذهنك..

كانت عيناه تحدّقان بها بإمعان.

- كنت مغفلة والخوف معشعش في قلبي.. لأنني لم أخَلْ يوماً أنك قد تكون لي بكليتك.. لكن إن فتحت لي قلبك أعدك بأن تجدني دائماً إلى جانبك، حيثما ذهبت ومهما أردت أن تفعل.. لن أحرمك يوماً من عائلتك أو..

وضع أصابعه برقة على شفتيها لإسكاتها: «هل تحبينني؟».

كان صوته أجش وكأنه لم يسمع إلا تلك العبارة..

تملّكها الذعر وقد خشيت أن يكون جوني قد جاراها في تلك الأوقات الحميمة التي جمعتهما من دون أن يشعر بحبها له.. فأسرعت تفضي إليه بالمشاعر التي فاض بها قلبها منذ نعومة أظافرها.. فهو بطلها المعبود، وحبها الأول، وفارس أحلامها ومالك كيانها..

فتحت له قلبها على مصراعيه آملة أن يبادلها بالمثل..

عليها أن تعرف كل شيء لتشعر بأنها زوجته حقاً..

لا أسرار، ولا مناطق محظورة... بل صراحة مطلقة!.

ضربت كلماتها على أوتاره الحساسة فتعاقبت المشاعر في قلبه، وانعكست في تعابير عينيه، التي كانت تتنقل ما بين التسلية والحنان والندم.. مما زرع الفوضى في أعصابها..

لم ينبس ببنت شفة للحظات طويلة، اكتفى خلالها بمداعبة خصلات

شعرها وكأن لونه أو تجاعيده سلبت لبه..

قال لها في نهاية المطاف: «لطالما وجدت بيننا هوة عميقة.. ففي طفولتك أسرت قلبي، ورأيت فيك الأخت الصغرى، لأن باتريك كان بمثابة أب لي.. لم يخطر على بالي يوماً أن أتخطى هذه الحدود.. مع انني أنا أفعل ذلك..».

سألته والشك بادٍ على وجهها: «حقاً؟».

هزَّ برأسه موافقاً.

- ولكنني لم ألاحظ شيئاً...

- لم يكن الجو مناسباً.. فأنت ابنة باتريك ومحظورة عليّ.

أطلقت تنهيدة عميقة: «كنت أرى فيك حلماً بعيد المنال يا جوني!».

- أعلم ذلك.. ولكن عندما عدت للمشاركة بمراسم دفن باتريك، عقدت العزم على ردم هذه الهوة.

أجفلت ميغان: «كما حصل في الفيلم؟».

تساءلت ميغان في سرّها ما إذا استغل المشاعر التي يكنها لها، خلال تصويره ذلك المشهد مع الأرملة. فابتسم لها ابتسامة عريضة وأجابها قائلاً:

- لم أتوقع أن تشاهدي الفيلم.. عند عودتي إلى أريزونا طلبت منهم إعادة كتابة الدور الذي ألعبه مع الأرملة.. فكلما قرأت على وجهها تعاطفها مع ظروف راعي البقر المتعلّقة بحياته السابقة، وإدراكها تمام الإدراك أنه قد يرحل إلى غير عودة، تذكرتك يا ميغان..

- لكن راعي البقر عاش صراعاً داخلياً عنيفاً، ما بين حبه لها والهدف الذي وضعه نصب عينيه.. وأنا لا أريدك أن تواجه صراعاً مماثلاً..

- كان عليه أن ينجز مهمته قبل المضي قدماً.. وهذا ما حصل فعلاً.. ولا داعي للقلق أبداً! فأنا لا أواجه أي صراعات داخلية!.

ورماها بابتسامة جميلة تشع فرحاً: «وجدت معك كل ما أحتاج إليه!..».

أتراه يقصد الحب العظيم الذي تكنّه له؟ ولكن على الرغم من عظمته ثمّة عوائق كثيرة تحول دون ازدهاره!.

- إنه مجاني يا جوني! ولست مضطرة للغناء أو التمثيل مقابل ذلك.. فأنا أحبك مهما فعلت في الماضي أو قررت أن تفعل في المستقبل..

- ما الذي يزعجك بشأن ماضيّ؟

- إنهما الولدان.. والمشاعر التي خالجتك في الفيلم.. قلت لي إنك استمديتها من... مِمَ استمديتها؟.

أغشت سُحُب الكآبة عينيه.

- من الصعب جداً أن يتمكن صبي صغير من ردع الكبار عن إساءة معاملته.

قال ذلك بنبرة هادئة: «أخبرنا ريك مرة- يوم كنّا مجرد صبيّة في السادسة عشر من عمرنا- أن والده كان يضرب والدته باستمرار إلى أن تسبب، في النهاية، في موتها.. ولمّا حاول ريك الدفاع عنها دفعه بقوة وضربه أيضاً.. أعلم جيداً معنى ذلك، لأنني أدركت، منذ صغري، أنه من الصعب التغلّب على الكبار.. فقوتهم الجسدية لافتة، ويملكون لكل سؤال جواب: الرضوض.. والعظام المكسورة.. وسلس البول..».

- ما الذي كان يزعجك أكثر من سواه؟.

تردد جوني في الرد.. فألحّت عليه قائلة:

- أخبرتني عن ريك.. ولكنني أريدك أن تحدثني عن نفسك.. أرجوك..

أجابها على مضض وكأن الأمر يدعو للخجل:

- لم يكن الضرب مريعاً إلى هذا الحد.. كنت أكره حين يحبسونني داخل خزانة مظلمة.. أياماً وليالي.. من دون أن يسأل أحد عني.. وكأنهم ينسون أمري كلياً.. كان عليّ ألا أحرك ساكناً وإلا أخرجوني منها وضربوني

وأعادوني إليها ثانية.

- يا إلهي! لا عجب أنك لذتُ بالفرار حين سنحت الفرصة لك بذلك!.

قال لها بازدراء..

- بات ذلك كله من الماضي.. لكن حين مثّلت ذلك المشهد في الفيلم- وخسارة عدد كبير من الأرواح الواعدة- لم أجد صعوبة في استحضار الشعور بالحزن أو الرغبة الهمجية بتحقيق العدالة!.

صحيح أنه من الأفضل أن ينسى المرء هذه المشاعر ويتابع حياته، ولكن من الصعب محو ذكراها من الذهن.

- معك حق... أشكرك لأنك أفضيت إليّ بهمومك... أؤكد لك أن ذلك سيساعدني على ردم الهوة... ولا أريدك أن تشعر بالوحدة بعد اليوم..

وأحاطت عنقه بذراعيها وفي عينيها رغبة متأججة للاتحاد به أكثر..

- هل أشبع كلامي فضولك؟.

- كلا.

سألها وقد بدأ صبره ينفد: «ما الذي تريدين سماعه بعد؟».

- أريد أن أسمعك تقول لي «أحبك».

انفجر جوني ضاحكاً، فأحسّت ميغان وكأنه يطلق ضحكة الحريّة المسكرة...

- أحبك ميغان ماغواير.. أحبك شريكة لي في كل شيء.. أحب أن أشاطرك حياتك..

قاطعته لاهثة: «عليك أن تسمح لي بمشاطرتك حياتك أيضاً!».

- كل شيء... أحب كل شيء فيك!.

وأسرع يثبت حبه لها، فاستسلمت بلا تحفُّظ أو تردد للشوق الذي سيبقى

مشتعلاً فيها إلى الأبد، وقد أدركت أن المشاعر الجيّاشة في كيانها تماثل مشاعره قوة.. فهو نورها ودفئها وحياتها.. وسبب وجودها..

www.elromancia.com

١٤ - عودة ميت

صباح اليوم التالي، بدا جوني هادىء البال، يرمي الجميع بنظرات ملؤها الطيبة . . . فلم تساوره الشكوك حين طلب منه ريك وميتش التحدث معه على انفراد في غرفة المكتب . .

اجتاز الرجال الثلاثة الشرفة المحيطة بالساحة الرباعية الزاوية، وهم يتبادلون أطراف الحديث . . . فسألهما جوني عن مدى رضاهما عن حياتهما .

أعلن ريك : «إنني رجل سعيد جداً!» .

قال ميتش بنبرة حاسمة : «لا يمكنني أن أتذمّر!» .

- أظن أنني أخطأت بإحضاري ذلك الشريط يا جوني . . .

نظر ريك إليه بقلق : «لم أقصد أن أثير المتاعب» .

طمأنه جوني قائلاً : «لا عليك . . . صحيح أنه ضرب على بعض الأوتار الحسّاسة . ولكن لا بأس» .

- ألست منزعجاً؟ .

- طبعاً لا .

- وميغان؟ .

- لا داعي للقلق . . . في الواقع، تمكنّا من حل بعض الأمور العالقة بيننا . . أظن أنني بالغت في كتمان ذكريات الماضي الأليمة التي بقيت محفورة في ذهني! .

أقر ميتش بنبرة حزينة : «واجهت المشكلة عينها مع كاترين . . . من الصعب جداً أن تفتح قلبك للآخرين . . ولكن الارتياح يغمرك حين تفعل ذلك . . » .

وافقه ريك الرأي : «هذا أمر بديهي!» .

أدرك جوني أن صديقيه امتنعا، مثله، عن الإفصاح عن مكنونات قلبيهما، وكأنهم فضلوا جميعاً الاحتفاظ بنقاط ضعفهم لأنفسهم، حتى لا يصابوا بأي أذى . . فبعد ما عانوا منه في صغرهم، بات من الصعب عليهم أن يضعوا ثقتهم في أحد . . لكنهم تعلّموا في هذا المكان أن يثقوا بباتريك على الرغم من أن هذا الأخير أثار حيرة جوني بوصيته تلك . . .

لعلّها أثارت حيرة ريك وميتش أيضاً إلاّ أنهما لم يعلقا على الموضوع لأسباب خاصة بهما . .

سألهما فيما كانوا يدخلون إلى غرفة المكتب : «ما الداعي لهذا الإجتماع؟» .

أجابه ميتش : «إنها رسالة من باتريك!» .

أجفل جوني . . فأقفل الباب على عجل، ووقف يحدّق بهما مذهولاً . .

بدا جلياً أن صديقيه على علم بأمرها . . إذ لم تظهر على وجه ريك إمارات الدهشة، فيما انهمك ميتش بإخراج المغلف من جيب سترته قائلاً :

- ترك باتريك في عهدتي رسالة وطلب مني أن أفتحها، بعد مرور سنة على وفاته! .

إنه أمر بديهي . . فميتش محاميه الخاص، وينفّذ تعليماته بحذافيرها . .

ولكن لمَ تراه طلب فتحها بعد سنة؟ .

ليت نوايا باتريك توضحت منذ البداية ليتفادوا الكثير من القلق والإمتعاض . .

مدَّ ميتش يده ليعطيه المغلف: «عليك أن تقرأها يا جوني».

- كلا.. وضعها في عهدتك يا ميتش.

وأحَسَّ بتشنج في معدته وهو ينتظر بلهفة سماع فحوى الرسالة، آملاً ألا تتعارض رغبات باتريك مع الخطوات التي قام بها حتى الآن.

لم يظهر على صديقيه الانزعاج... أما هو...

ولكن ما الداعي لهذا القلق؟ فهو لم يخطىء التصرُّف! إنه واثق تماماً من أن ما فعله هو الصواب عينه.. وميغان توافقه الرأي..

أيَّده ريك الرأي: «اقرأها بنفسك يا ميتش».

لم يحاول أي منهم الجلوس، بل فضلوا أن يبقوا واقفين كدليل على احترامهم لـ باتريك..

فتح ميتش المغلف وأخرج منه الرسالة وفضها..

- أفضل أن نرجىء الأسئلة حول فحواها إلى أن أنتهي من قراءتها، اتفقنا؟.

هزَّ جوني وريك برأسيهما موافقين، فأخذ ميتش نفساً عميقاً وبدأ بالقراءة:

«أبنائي الأحبَّاء،

لطالما كان هذا رأيي فيكم... ولو كنتم من صلبي، لما أحببتكم أو افتخرت بكم أكثر..

بدأ المرض يضنيني، ويترك بصماته على جسدي، ولم يعد أمامي متسع من الوقت.. إنني سعيد جداً من أجل ريك وميتش لأنهما وجدا نصفيهما الآخرين، ويعيشان بهناء..

ولكنني أتمنى أن يحذو جوني حذوكما.. وأظن أنني أشكِّل عائقاً أساسياً أمام بلوغه هذا الهدف.. ووحدها وصيتي كفيلة بإزالة هذا العائق..

ولن ننسى ميغان أيضاً.. فـ جيني وإميلي تزوجتا واستقرَّتا بعيداً عن المزرعة.. ولكن ميغان تحتاج لشخص يساعدها لإعادة إحياء المزرعة وإنقاذها من الجفاف..

أعلم أنكم لن تتوانوا عن تقديم العون اللازم لها لضمان مستقبلها في غونداموورا... إلا أنني اخترت جوني للقيام بهذه المهمة.. ليس لأنني أفضله على سواه، بل لأنني أريد أن أمنحه موافقتي وبركتي على أن يبني عائلة له في غونداموار.. مع ميغان... إن كان يرغب في ذلك...

إنني جالس هنا أفكر في تعلُّقهما ببعضهما البعض منذ زمن بعيد. إنه إنجذاب طبيعي لم يخف مع مرور الزمن، على الرغم من التوتر الذي ساد علاقتهما خلال السنوات القليلة الماضية..

توتر مردُّه إلى الحواجز القائمة بينهما، والتي يشعر كل واحد منهما بعجزه عن تحطيمها... لعلّي مخطىء في تقديري... وأظن أن هذه السنة كافية لإزالة الحواجز، إن كانت الرغبة في إزالتها، نابعة من حب صادق..

إن تبين لكم أنني كنت على خطأ، أعهد إليكم مسؤولية تصحيح هذه الوصية وإعادة ملكية غونداموورا إلى ميغان، وتقاسم المسؤولية التي ألقيتها على عاتق جوني بغية إنقاذها..

عرض كل واحد منكم عليّ المساعدة.. وأعلم جيداً أن ذلك كان نابعاً من القلب..

فلنترك لجوني حرية الحب كما أرجو أن يجده يوماً ما. إنها السعادة بالعودة إلى موطنه حيث تنتظره امرأة يحبها وتحبه...

وجوني... أرجو منك أن تعذرني لتدخلي في حياتك الخاصة.. أعلم أنك مررت بأوقات عصيبة خلال هذه السنة.. وبقي سؤال يشغل بالك... «لمَ فعلت ما فعلته؟».

حافظوا على روابط الأخوَّة بينكم وأشكركم على كل ما منحتموني إياه على

مر السنوات..

باتريك».

أحسَّ جوني بالدموع الحارة تسد حنجرته، فكابد على نفسه ليسألهما:

- هل كنتما على علم بالأمر؟.

أجابه ريك:

- لم نكن واثقين يا جوني.. وخُيل إلينا أن باتريك يعي جيداً ما يفعله!.

دمدم ميتش مشيراً إلى طاولة الشطرنج: «إنه هجوم الفارس.. أراد باتريك منك أن تنقذ الملكة.. وهذا ما فعلته!».

قال بحدة: «لن أخبر ميغان بالأمر.. فنحن شريكان!».

- هل أزيلت كل الحواجز؟.

وبرقت عينا ريك ببريق الرضا.

- هذا ما شعرت به هذا الصباح!.

وسرعان ما بدأت الأمور تتوضح في رأس جوني: «تلك الحفلة الموسيقية اللعينة! إنها فكرة لارا! وإحضارك للفيلم وعرضه علينا!».

أجابه بسرعة: «هل نسيت كم ساعدتني على حل مشاكلي مع لارا يا جوني؟».

- كنت تعرف شيئاً يا ريك.

- أقسم لك أنني حاولت أن أربط الأمور ببعضها البعض..

تدخَّل ميتش قائلاً: «أتينا معاً لحضور عيد ميلاد ميغان الواحد والعشرين.. إلا أن حضورنا لم يعوِّض عن غيابك!».

- نعم! يبدو أنني المغفل الوحيد الذي لم يلاحظ ذلك من قبل!.

- كلا يا جوني! كانت ميغان تصغرك بعشر سنوات.. وهي ابنة باتريك..

ردَّ عليه بنبرة ملؤها التعاطف: «كان عليك أن تغض الطرف عن هذين العاشقين.. و بعد قراءة وصية باتريك قررت أنا وريك أن نقف على الحياد وندعكما تسويان أموركما بمفردكما».

- اسمح لي الآن أن أطرح عليك السؤال الأساسي: هل وجدت موطنك يا جوني؟.

- أجل.. أجل..

وانفجر ضاحكاً وهو ينظر إليهما وعلى ثغريهما ابتسامة عريضة:

- أهلاً بك في النادي!.

- في الواقع، تحدثت البارحة مع ميغان في الموضوع.. أود أن أعد برنامجاً خاصاً لتأهيل الأولاد المشرَّدين في غونداميرا.. صحيح أنني لست بارعاً مثل باتريك ولكنني أود المحاولة.

أجابه ميتش بحماسة: «إنني واثق تماماً من أن الأولاد سيتعلَّقون بك يا جوني.. إنها فكرة رائعة..».

وافقه ريك الرأي: «إنها فكرة ممتازة!».

وأشار إلى الكرسي الكبير خلف طاولة المكتب وأضاف:

- لا أحد سواك يستطيع أن يملأ كرسي باتريك.. أتمنى لك التوفيق.

ابتسم له ميتش: «إنني أؤيده تماماً... ومع مرور الوقت ستصبح هذه الكرسي جزءاً منك!».

شعر جوني بالإحراج لدى سماعه مديح صديقيه، وشكرهما على دعمهما وتفهمهما.

- أشكركما من كل قلبي وأعدكما بأن أبذل جهدي لأكون عند حسن ظن الجميع.. قل لي يا ميتش، أتود مساعدتي في إعداد هذا البرنامج؟.

- يمكنك الاعتماد عليّ.

قال له ريك: «لا أظنك تريد الاستمرار في العمل في الميدان الفني».

- كلا.. لم يصبح لحياتي معنى إلا في غوندامورا، مع ميغان.. ولن أفرّط بذلك مهما كان الثمن.

أعلن ميتش بنبرة حاسمة:

- لا داعي للمزيد من الكلام. جلّ ما علينا أن نفعله في لحظة مماثلة هو أن نشرب نخب الرجل الذي وضعنا على الطريق الصحيح.

بادر ريك إلى الكلام:

- رحمة الله على باتريك ماغواير، الذي ساعدنا على تحقيق طموحاتنا.

قال ميتش: «إلى أفضل أب وهبتنا إيّاه الحياة!».

- ارقد بسلام يا باتريك! كم كنا محظوظين يوم أرسلونا إلى غوندامورا!.

وتوقف جوني عن الكلام قليلاً، ثم استطرد يقول بنبرة مفعمة بالعواطف الصادقة: «لقد تمّت مهمتك.. وعدنا جميعاً إلى موطننا!».

www.liilas-angels.com